ميراث النساء بين الحرمان والتفضيل في العطاء

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية - العدد ٥٥٧ السنة السابعة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ
الثمن ٣ جنيهات

كثرة القتل من علامات الساعة

FIRE AND FURY
DE THE TRUMP WHITE HOUSE
MICHAEL WOLFF

النار والغضب في بيت ترامب الأبيض

- البيعة العامة وخطبة الولاية
- مساوئ وعواقب الانفعال والغضب
- الحالات التي تكره فيها الصلاة

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي





صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية



المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي



اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد



كثرة القتل من علامات الساعة

قال رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ لَهَرْجًا. قالوا: يا رَسُولَ اللَّه، ما الْهَرْجُ؟ قال: الْقَتْلُ. فقال بَعْضُ الْمُسلمين: يارَسُولَ اللَّه، إنَّا نَقْتُلُ الآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كذا وَكَذَا. فقال رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وابْنَ عَمِّهِ، وذا قَرَابَتِهِ، فقال بَعْضُ الْقَوْمِ: يا رَسُولَ اللَّه، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فقال رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: لا. تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، لا عُقُولَ لَهُمْ"

قال أحد الصحابة: « ما لي ولكم منها مخرج إن هي أدركتنا إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها كما عهد إلينا رسول الله ».

أيها القاتل: اخرج منها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره كما دخلت فيها، إن كنت من المؤمنين.

التحرير

إدارة التحرير ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط



في هذا العدد

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي



الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين . مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر

افتتاحية العدد

من أسباب إنزال العذاب

الحلقة الثالثة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على من بعثه الله بالكتاب والسنة ليخرج الأمة من الظلمات إلى النور، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ذكرت فيما مضى ثلاثة أسباب توجب إنزال العذاب من لدن رب العباد، وفي هذا اللقاء أواصل الحديث حول هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

٤- مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم:

أوجب الله على المسلمين اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عند الله تعالى، كما قال تعالى: « وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ » (الحشر:٧)، كما أمر أهل الإيمان بالاستجابة له صلى الله عليه وسلم في كل ما يدعو إليه، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » (الأنفال:٢٤)، وقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة، مما يدل على أهمية ذلك ومكانته من الدين، قال الله تعالى: « وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (آل عمران:١٣٢)، ومن هنا كان عصيان أمره ومخالفته من أعظم ما يرتكبه المسلم، ومن فعل ذلك يكون قد عرض نفسه للوعيد الشديد، كما قال الله تعالى في كتابه: « فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور:٦٣)، قال ابن كثير: «وقوله « فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ » أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً. «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك». (تفسير ابن كثير ٣/٤٢١، ٤٢٢).

وقد أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على مَن عارض قول النبي صلى الله عليه وسلم بقول غيره، وذلك لما قال: «تمتع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: ما يقول عروة، قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة،



فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: نهى أبو بكر وعمر. (مسند أحمد ١/٣٣٧).

وهذا الكلام من حبر الأمة يدل على خطورة الانصراف عن الهدي النبوي، وأنه من أسباب الهلاك، وقد يؤول الحال بصاحبه إلى أن يزيغ قلبه عن الحق، كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور:٦٣). أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك. لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. (فتح المجيد ص٥٣٠).

ولذلك أقول لكل مسلم: يجب أن تبني كلامك على الكتاب والسنة والآثار حتى توافق طريق النبوة، وألا تنتصر لقول أحد مطلقًا إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا بلغك الدليل من الكتاب والسنة فالزمه واعمل به، وإن خالفه من خالفه من الناس؛ لأنك لن تسأل يوم القيامة إلا عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» (القصص:٦٥)، ولن يتمكن من الجواب الصحيح إلا من كان في دنياه متبعًا لرسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، أما من كان متبعًا لرأيه وهواه، سائرًا وراء الدعوات الهدامة قديمًا وحديثًا، فقد ضل سواء السبيل.

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم فرائض الدين، وبه مع الإيمان بالله تعالى نالت هذه الأمة الخيرية عن سائر الأمم، قال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران:١١٠)، وإذا أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمَّ الفساد، وفشت الضلالة والجهالة، وهلك العباد بإنزال العقاب من الله تعالى، قال النووي: «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضُيع من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب». (شرح النووي على مسلم: ٢/٢٤).

وقد أخبر الله في كتابه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه أمنة من العقوبات الإلهية التي تنزل بالأمم التي استشرى فيها الفساد، قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ» (هود:١١٧)، فجعل قيامهم بواجب الإصلاح سببًا لدفع العذاب عنهم وعدم هلاكهم، كما بيّن أيضًا ذلك في قوله: «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ» (هود:١١٦).

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض؟ وقوله: «إلا قليلاً» أي: قد وُجد منهم من هذا الضرب قليل، لم يكونوا بكثير، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه، وفجأة نقمته، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال الله تعالى: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (آل عمران:١٠٤). وفي الحديث: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب». (تفسير ابن كثير ٢/٦٢٦).

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» (المائدة:١٠٥). وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب». (صحيح سنن أبي داود ٣/٨١٨).

وقد لعن الله بني إسرائيل وطردهم من رحمته



بسبب عصيانهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله تعالى: « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ » (المائدة:٧٨، ٧٩)، وفي الآية التصريح بأن سبب اللعن والطرد من رحمة الله وقوعهم في العصيان مع تركهم النهي عنه.

يقول السعدي رحمه الله: «ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: «كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ» أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا، فيشترك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر-مع القدرة- موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة». (تيسير الكريم الرحمن ٣٢٩/٢).

وقد وعد الله عباده بالتمكين في الأرض إن هم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، كما قال الله تعالى: « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » (الحج:٤١).

٦- البغي:

من الأمور التي توجب إنزال العذاب البغي، وهو: الاستطالة على الناس، وقصد الظلم والفساد، يقال: فلان يبغي على الناس إذا ظلمهم وطلب أذاهم، وأصل البغي: مجاوزة الحد. (انظر: لسان العرب ٧٨/١٤).

وقد حرم الله البغي في كتابه، قال الله تعالى: « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف:٣٣). قال القاسمي رحمه الله: «البغي: أي الاستطالة على الناس وظلمهم، وإنما أفرده بالذكر مع دخوله فيما قبله، للمبالغة في الزجر عنه، وذلك لأن تخصيصه بالذكر يقتضي أنه تميز من بينها حتى عد نوعًا مستقلاً». (تفسير القاسمي ٢٦٧٤/٧).

وقد عدَّ العلماء الخروج على الإمام-ولو كان جائرًا- بلا تأويل، أو مع تأويل يقطع ببطلانه من البغي. (انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ١٠٣/٢).

وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى الحق وتسمع له وتطيعه، كما قال الله تعالى: « وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ » (الحجرات:٩).

وقد امتن الله تبارك وتعالى على قارون بكثرة المال فبغى على قومه، وتطاول عليهم، ولم يستجب لنصحهم، فأهلكه الله ببغيه أمام قومه، قال الله تعالى: « إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ » (القصص:٧٦).

قال ابن جرير: تجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم، وكان بعضهم يقول: كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه. (انظر تفسير ابن جرير ٦٨/٢٠).

وكانت نهايته كما ذكر الله في قوله: « فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ » (القصص:٨١). قال ابن كثير: «لما ذكر تعالى اختيال قارون في بيته، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقَّب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يجر إزاره إذ خُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة». (تفسير ابن كثير ٥٤٣/٣).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن البغي أحد الذنوب التي تكون سببًا في تعجيل العقوبة، كما في الترمذي بسند صحيح عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم». (انظر: السلسلة الصحيحة ٦٢٣/٢).

فكن يا عبد الله على حذر من هذه الآفات، واسأل الله العافية، والحمد لله رب العالمين.







بقلم رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

النار والغضب في بيت ترامب (الأبيض)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

من الحقائق التي لا ريب فيها أن وعد الله تعالى آتٍ لا محالة، ودائمًا ما تأتي المِنَح من المِحَن، والفرج بعد الضيق، ودعوات المسلمين عند النكبات والمِحَن بأن يرد كيد أعدائهم في نحورهم، وأن يشغلهم بأنفسهم، وما زالت الآلام والجراح تُدمي قلوب المسلمين، لما يقع في أرض فلسطين، وقرارات ترامب المتهورة حيال القدس والأقصى، وفلسطين وشعبها، ومؤامرات تحاك ضد المسلمين في كل بقاع المعمورة، وقراراته العنصرية ضد شعوب الدول الإسلامية، والشعوب الإفريقية.

وفي تلك الأثناء يستطيع الكاتب «مايكل وولف» مؤلف كتاب «النار والغضب» أن يَدْخُل بيت ترامب (الأبيض)، ويكشف الحكايات عن ترامب وأسرته، ورد فعله تجاه الأحداث، والكثير من غرائب وحكايات ترامب التي تؤكد في مجملها أن الرئيس الأمريكي غير مستوعب تمامًا لدوره وما يقوم به، وأن آخر أحلامه في الشأن السياسي كانت «منافسته» في انتخابات الرئاسة، مع عدم تخيله الفوز مطلقًا، وما يحسب للكاتب أنه قد أثار جنون ترامب ودفعه للتكذيب والنفي، وربما يدفعه بعد ذلك لقرارات وتصريحات غير محسوبة تؤدي به إلى خارج البيت الأبيض، « وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » (الأنفال:٣٠). فاللهم رد كيد أعداء المسلمين في نحورهم، وأشغلهم بأنفسهم، واجعل الدائرة تدور عليهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نار وغضب: يعصف بالبيت الأبيض

جحيم هي الأزمات التي تلاحق ترامب خلال عام من توليه الرئاسة في أمريكا، بيد أنها ستتأجج أكثر بعد نشر كتاب «نار وغضب» للصحفي «مايكل وولف»، إذ يُنتظر أن يثير الكتاب في الأيام المقبلة مزيدًا من العواصف بوجه الرئيس الأمريكي «ترامب»، حتى أن بعضهم يتوقع أن يُشكل مدخلاً جديدًا للإطاحة به من البيت الأبيض، وهو ما دفع ترامب إلى الرد السريع مشددًا على استقراره العقلي، وذلك بعدما أعلن وزير خارجيته «ريكس تيلرسون» أنه لم يشكك يومًا في أهلية ترامب العقلية.

وتأتي عبارة «نار وغضب» التي اشتهر ترامب باستخدامها في حربه الكلامية ضد كوريا الشمالية، واختارها مايكل وولف عنوانًا لكتابه، قد تكون التوصيف الأدق للمرحلة المقبلة، فبعد الحرب الإعلامية التي أشعلها الكتاب بين ترامب ومستشاره الاستراتيجي السابق «ستيف بانون» الذي ينظر إليه على أنه مهندس أجندة ترامب الانتخابية، من المنتظر أن يثير الكتاب في الأيام القليلة القادمة مزيدًا من العواصف بوجه ترامب مع مباشرة الكونجرس الاستماع إلى شهادات اختصاصيين نفسيين لتقييم أهليته الذهنية للقيام بمهام رئيس الولايات المتحدة.

وكانت مسألة أهلية الرئيس الذهنية قد ناقشها وولف في كتابه ونَقَل على لسان «باتون» الذي كان أبرز اللاعبين في البيت الأبيض قبل أن

يطرده ترامب في أغسطس الماضي؛ أن ترامب فاقد السيطرة على الأمور، وكذلك نقل وولف الذي تردد على البيت الأبيض في فترة إعداد الكتاب، عن أفراد آخرين في الحلقة الضيقة المحيطة بترامب أنه يتصرف كالأولاد الصغار.

دلالات خفية وراء إصدار الكتاب في أمريكا

ومع الضجة الكبيرة التي أثارها نشر هذا الكتاب؛ لأنه تناول أدق التفاصيل في حياة ترامب وقراراته وتصريحاته المثيرة للجدل في كل الاتجاهات، ولكن ومع وقفة تأمل متعمقة لدقائق معدودة، تدرك أن هذا الكتاب له دلائل خطيرة، منها وعلى سبيل المثال لا الحصر: أن إسرائيل واللوبي اليهودي في البيت الأبيض، هم من يقف وراء أي قضية لأي رئيس أمريكي، بل وأي محاولة قتل، أو عدم تجديد فترة رئاسته، كما أن إدراك اليهود أن ترامب قد استنفد كل ما عنده، وأصبح غير صالح للاستعمال، بل إن رعونته وجنون عظمته قد يؤدي إلى حماقات تضربهم ويدفعون ثمنها.

وإن وصول السياسة الأمريكية وروّادها إلى أعلى مراحل تبدُّل القيم، وانهيار المنظومة الخُلقية، هو مؤشر على بداية الانهيار التدريجي الذي بشّر معظم فلاسفة أوروبا، وعلى رأسهم «سارتر».

وكذلك فإن مؤلف الكتاب لم يجرؤ على نشر الفضائح والأسرار من داخل البيت الأبيض دون غطاء المخابرات الأمريكية واللوبي اليهودي لتحقيق مآرب تخدم إسرائيل وحدها أولاً وأخيرًا.

ثم إن التطرق لذكر زعماء وأنظمة عربية في هذا الكتاب يهدف إلى خلق بلبلة، وتحويل البوصلة نحو المخططات القذرة القادمة، وهذا هو أعلى أهداف الماسونية العالمية.

نار وغضب يكشف سياسة ترامب في الشرق الأوسط

وقد توقع مؤلف الكتاب أن يضع مضمونه نهايةً لعهد الرئيس الأمريكي ترامب، وأن الكتاب يعزز الاعتقاد السائد بأن ترامب غير مؤهل لمنصبه، وبعيدًا عن السلامة العقلية والأهلية للرئاسة الأمريكية، فكتاب «نار وغضب داخل البيت الأبيض» قد أماط اللثام عن كثير من كواليس إدارة ترامب ومساعديه للسياسة الخارجية خاصة المتعلقة بالشرق الأوسط فقد كانت الحرب بين (بانون) المستشار الاستراتيجي السابق في البيت الأبيض و(كوشنر) صهر ترامب الذي سلمه ملف الشرق الأوسط كان يعلم أنه كان يلقي به في (المعمعة)، وقد اختاره ترامب بالذات لأنه يهودي، ولعله أراد أنه يكافئه على يهوديته، مكلفًا إياه بمهمة مستحيلة لكونه يهوديًا، ولعله كان مندفعًا بالاعتقاد بأن اليهود يتمتعون بقدرات تفاوضية خارقة.

وحسبما جاء في الكتاب، كان المستشار الاستراتيجي السابق في البيت الأبيض «ستيف بانون» قد أخبر الرئيس التنفيذي السابق لمحطة فوكس نيوز «وجر إيليس» بأن ترامب كان ينوي نقل السفارة الأمريكية إلى القدس في اليوم الأول لولايته.. جاء ذلك في سياق حديث صرح فيه على مأدبة عشاء مع (إيليس)، تبيَّن فيما بعد أن الداعي إلى المأدبة كان «وولف» الذي شرح (بانون) خطة ورؤية ترامب لإعادة تشكيل الشرق الأوسط، وذلك بأن يترك للأردن الضفة الغربية، وتأخذ مصر غزة، ودعهم يتصرفون معها، أو يغرقون وهم يحاولون ذلك، والسعودية على حافة الجرف، ومصر على حافة الجرف، وكلهم يتخوفون من إيران.. ناهيك عن الحال في اليمن.. واضطراب سيناء..

وقد اختزلت الدائرة الداخلية المحيطة بترامب اللاعبين الأساسيين في الشرق الأوسط في أربعة لاعبين وهم: مصر وإسرائيل والسعودية وإيران، وتشكل لديهم اعتقاد بأن اللاعبين الثلاثة الأوائل وهم مصر وإسرائيل والسعودية يمكن أن يتوحدوا ضد طهران، وحداهم الأمل في ألا تتدخل مصر والمملكة العربية السعودية بشكل يعارض المصالح الأمريكية، طالما أنها تُركت لتتصرف مع إيران كما تريد، وكتب وولف يقول: إن هذا الموقف الجديد في الشرق الأوسط، خلطة من الأفكار تثير الغثيان.

نار وغضب.. وقرار حظر دخول المسلمين أمريكا

ويستمر إحداث الزلازل والهزات العالمية داخل بيت ترامب بفعل نشر كتاب «نار وغضب»، وقد

نشرت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية تقريرًا تضمَّن مقتطفات جديدة عن الكتاب، تشير إلى أن قرار ترامب القاضي بمنع القادمين من مجموعة دول إسلامية من دخول الأراضي الأمريكية، قد صدر في وقت مدروس بعناية، من أجل إثارة الجدل والاضطرابات في الولايات المتحدة، واستفزاز الليبراليين وتقسيم صفوف الأمريكيين.

وقالت الصحيفة: إن «وولف» أكد في كتابه أن ستيف بانون المستشار السابق للرئيس ترامب، قد أصدر القرار المثير للجدل في يوم جمعة بشكل متعمَّد، حتى يُخَلِّف أكبر قدر ممكن من الانزعاج لدى المسلمين، وقد وقع قرار حظر السفر الذي مُنع بموجبه مواطنو عدد من الدول الإسلامية من دخول الولايات المتحدة الأمريكية بعد أسبوع فقط من وصول ترامب إلى الرئاسة، وكان الهدف من هذا القرار هو تحقيق الوعد الذي قطعه ترامب فيما يتعلق بمنع هجرة المسلمين للأراضي الأمريكية على خلفية الادعاءات التي أطلقها خلال حملته الرئاسية، والتي تفيد أن موجات الهجرة تساهم في تفاقم ظاهرة الإرهاب.

وكان الهدف من توقيع القرار بشكل عاجل جعَله يطال حتى الأشخاص الذين كانوا في طريقهم نحو الأراضي الأمريكية، والذين تعرضوا للاحتجاز لدى وصولهم إليها في ظل نقص المعلومات حول مصيرهم، في يوم يتسمُ عادة بكثافة الحركة الجوية.

وأوضحت الصحيفة أن التوقيع على هذا القرار في وقت متأخر، وقبيل عطلة نهاية الأسبوع، كان يعني خروج أكبر عدد ممكن من المواطنين للاحتجاج، ومباشرةً بعد دخوله حيز التنفيذ توجهت أعداد غفيرة من الناشطين نحو العديد من المطارات على غرار مطار (جون كيندي) في نيويورك، في مشهد رَسم الأيام الأولى لرئاسة ترامب.

وقال «مايكل وولف» مؤلف الكتاب: إن ما كشفه سيضع حدًّا على الأرجح لبقاء ترامب في منصبه في البيت الأبيض.

عنصرية ترامب تطال دول العالم المختلفة

ومع اشتعال النار والغضب، فقد أكد الرئيس ترامب على عنصريته تجاه المسلمين عندما وصفهم في حديث تليفزيوني مسجل ومذاع عالميًا بأنهم «جرذان قذرة» متخلفون عقليًا تتخفى لتقتل الناس بالمحلات التجارية والكنائس، هذا هو دور الرئيس الذي يقبع على عرش أقوى دولة في العالم في عصرنا الحالي، رئيس ذو فكر عنصري شاذ، فكر عنصري من المفترض أن تكون البشرية قد تجاوزته!! ولذلك فلا نتعجب من قراره الأخير بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، ضاربًا عرض الحائط بكل القوانين الدولية، وقرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وهذا هو الفكر العنصري الذي يحض الآخرين على كراهية المسلمين، وسوء معاملتهم، وهو الأمر الذي يترتب عليه نتائج خطيرة على صعيد السلام الدولي والاجتماعي، ويجب أن يكون للمسلمين موقف حاسم منه.

وتأكيدًا على عنصرية ترامب، وضرورة إحالته للصلاحية، بعد عاصفة غضب دولية، علق «ترامب» الجمعة الماضية قبل ساعات من كتابة تلك السطور، على تصريحات نُقلت عنه يصف فيها دولاً إفريقية وهايتي بـ «الأوكار القذرة» أنه لم يقل شيئًا مهينًا عن هايتي أو مواطنيها!!

ومن جهتها اعتبرت الأمم المتحدة تصريحات الرئيس الأمريكي التي وصف فيها الدول الأفريقية وهايتي بـ «الحثالة أو الأوكار القذرة» بأنها صادمة ومعيبة و«عنصرية».

وكانت صحيفة (واشنطون بوست) أول من علق ونقل هذه التصريحات التي أثارت غضب مشرعين ديمقراطيين وجمهوريين، وأثارت مجددًا تساؤلات بشأن ميل ترامب للإدلاء بتعليقات عنصرية.

وفي رد فعل قوي على تصريحات ترامب ووصفه بعض الدول بالحثالة، طالبت ٥٤ دولة إفريقية ترامب بالاعتذار والتراجع عن ما صدر منه حيال تلك الدول.

وفي اجتماع طارئ لمجموعة سفراء الدول

الأفريقية قالت في بيانها: إنها صُدمت بشدة وأنها تدين كل التجاوزات الفاضحة والعنصرية، والمتضمنة «كراهية الأجانب من جانب دونالد ترامب»!!

وقد توالت ردود الأفعال الرافضة لتصريحات ترامب؛ كونها تعكس رؤية سطحية وعنصرية تتنافى تمامًا مع السلوكيات والممارسات الدبلوماسية، وقال المتحدث باسم المفوضية العليا لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة (روبروت كولفيل)، خلال مؤتمر صحفي في جنيف: «إذا تأكد ذلك فإنها تعليقات صادمة ومعيبة من جانب رئيس الولايات المتحدة، وآسف»، ولكن لا كلمة أخرى لوصف ما قاله ترامب!! سوى عنصرية.

نكبة أمريكية في المحافل الدولية

وبعد صدور القرار (الأرعن) لترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، رغم مخالفة ذلك للمواثيق والأعراف والتقاليد الدولية، والقيم التي لا يعرفها هؤلاء، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، والذي أدانته معظم دول العالم، ومع ذلك لا بد هنا أن نسجل بعض الحقائق، وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد القوة العظمى القادرة على توجيه السياسة الدولية حسب ما تريد، فقد فقدت القوة الأمريكية سيطرتها وسطوتها أمام ظهور منافسين جدد على قيادة النظام العالمي، وتداعت مكانتها.

كما أن سياستها الخارجية، والأدوات التي تلجأ إليها لتنفيذ أو لفرض هذه السياسة، باتت مرفوضة عالميًا، بل كريهة وسيئة السمعة، خاصة سلاح المعونات الاقتصادية والمالية الذي تستخدمه الولايات المتحدة لقهر إرادات الدول والشعوب.

وأبرز مؤشرات هذا الرفض ظهر عندما لوَّحت المندوبة الأمريكية في مجلس الأمن «نيكي هايلي» بأن بلادها ستسجل تصويت الدول في الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار رفض اعتبار القدس عاصمة للكيان الصهيوني، وأنها لن تقدم الدعم المالي لأي دولة تصوِّت لصلحة هذا القرار، لكن العالم قد ضاق ذرعًا بسياسة التسلط الأمريكية المتجردة من القيم العليا التي تعارف عليها العالم.

وبرغم ذلك فإن العشرات من تلك الدول التي تتلقى المساعدات المالية من الولايات المتحدة رفضت الخضوع لهذا الابتزاز الأمريكي الرخيص، وصوَّتت ضد قرار ترامب باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، فجاءت نتيجة التصويت كالآتي: ١٢٨ دولة ضد قرار ترامب، ٩ دول تؤيده، ٥٣ دولة امتنعت عن التصويت، وكان يجب على الولايات المتحدة أن تكون جزءًا من الحل (كما تزعم)، وليست عقبة في طريق السلام.

رجال أمريكا المشبوهين تحت الطلب

وفي سياق متصل يستمر رجال أمريكا ومبعوثوها في تنفيذ التعليمات المطلوبة منهم، ولكننا نتساءل ماذا يريد سعد الدين إبراهيم رئيس مركز ابن خلدون من مصر؟ وهل لا تزال أمريكا متمسكة بدورها التخريبي في المنطقة وتستعمل أدواتها؟ وماذا يفعل سعد الدين إبراهيم في تل أبيب، ولصالح من يلعب هذا الرجل المشبوه؟

وتأتي تمثيلية محاضرة الدكتور الأمريكي في إحدى جامعات الكيان الصهيوني بتل أبيب.. ما هي إلا تمثيلية من نوع الكوميديا السوداء، لأن الهدف من ظهور بعض الفلسطينيين أثناء إلقاء محاضرة سعد الدين إبراهيم، وتوجيه السباب لمصر ووصفها بالخيانة، بخيانة سعد الدين إبراهيم الذي جلس يمزق في وطن ليس وطنه، تحت مسمى ثورات الربيع العربي، الغرض منها هو إحراج مصر والتشكيك فيها وفي دورها الإقليمي، وتبني القضية الفلسطينية.

فاللهم ردنا إلى الحق ردًا جميلاً، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بشرٍّ فاجعل كيده في نحره واشغله بنفسه، واجعل الدائرة عليه، ورد القدس والأقصى إلى أحضان المسلمين، اللهم عليك باليهود ومن ناصرهم، واحفظ اللهم البلاد والعباد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة محمد صلى الله عليه وسلم



الحلقة الخامسة

إعداد/ د. عبدالعظيم بدوي

قال الله تعالى: «ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» (محمد: ٤-٦).

ثم بيّن الله تعالى الحكمة من مشروعية القتال فقال: «ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم»:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدهم وثاقا بعد قهرهم، وأسرهم، والمن والفداء «حتى تضع الحرب أوزارها»، هو الحق الذي ألزمكم ربكم، ولو يشاء ربكم لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بيّن هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلا إلا بأيديكم أيها المؤمنون «ليبلو بعضكم ببعض» أي: ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحق. (جامع البيان(٢٦/٤٣)).

كما قال تعالى في آخر السورة: «حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» (محمد: ٢١)، وقال تعالى: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ١٤-١٥).

فضل الجهاد في سبيل الله والاستشهاد:

«وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ»:

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة بالألف: والذين قاتلوا، بمعنى: حاربوا المشركين، وجاهدوهم، وكان أبو عمرو يقرأه «قتلوا» بضم القاف وتخفيف التاء، بمعنى: والذين قتلهم المشركون، ثم أسقط الفاعلين، فجعلهم لم يسم فاعل ذلك بهم.

فتأويل الكلام على القراءة الأولى: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى، فجاهدوهم في ذلك، «فلن يضل أعمالهم» أي فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين، «سيهديهم» أي سيوفقهم للعمل بما يحب و يرضى، «ويصلح بالهم» أي ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة «ويدخلهم الجنة عرفها لهم» أي: ويدخلهم الله جنته التي عرفها وبينها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشكل عليه ذلك. (جامع البيان(٢٦/٤٣)).

وعلى القراءة الثانية يكون تأويل الآية: «والذين قتلوا في سبيل الله» أي قتلهم الذين كفروا وهم يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله «فلن يضل أعمالهم» بل سيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، و«سيهديهم» في الآخرة إلى طريق الجنة كما يهدي الكفار الذين قتلوهم إلى طريق النار، «ويدخلهم الجنة عرفها لهم».

ما جاء في فضل الجهاد والمجاهدين والشهداء

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم

﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١٠- ١٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٩ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: ١٩- ٢٢).

وَعَنْ سَهْل بْن سَعْد السَّاعديِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رِبَاطُ يَوْم فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّة خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ الله أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا». (صحيح البخاري ٢٨٩٢).

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْم وَلَيْلَة خَيْرٌ مِنْ صِيَام شَهْر وَقِيَامه، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْه عَمَلُهُ الَّذي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْه رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ». (صحيح مسلم ١٩١٣).

وَعَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». (صحيح البخاري ٢٧٩٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بِشِعْب فِيه عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاء عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لطيبِهَا فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ! وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم! فَذَكَرَ ذَلكَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «لا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلاته فِي بَيْته سَبْعينَ عَامًا، أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ! اغْزُوا فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَة وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». (صحيح الترمذي: ١٦٥٠).

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيله لا يُخْرِجُهُ إِلا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنه الَّذي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْر أَوْ غَنيمَة. وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده مَا مِنْ كَلْم يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله إِلا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَة كَهَيْئَته حِينَ كُلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَم وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّة تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله أَبَدًا، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ». (صحيح مسلم ١٨٧٦).

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله عز وجل؟ قَالَ: «لا تَسْتَطِيعُونَهُ». قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْه مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، كُلُّ ذَلكَ يَقُولُ: «لا تَسْتَطِيعُونَهُ». وَقَالَ فِي الثَّالثَة: «مَثَلُ الْمُجَاهِد فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ الصَّائِم الْقَائِم الْقَانِت بِآيَاتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَام وَلا صَلاة حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى». (صحيح البخاري ٢٧٨٥).

وَعَنْهُ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِه، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِه الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! أَفَلا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلكَ. قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّة مِائَةَ دَرَجَة أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيله، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّة وَأَعْلَى الْجَنَّة، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّة». (صحيح البخاري ٢٧٩٠). وغير ذلك من الأحاديث.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



صيغ الاستثمار الإسلامي

الحلقة الثانية

إعداد: د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن صور الاستثمار الإسلامي للمال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من أهم صيغ الاستثمار الإسلامي الحلال ما يلي:

أولاً: الاستثمار الذاتي:

أي: يقوم الفرد صاحب المال بتشغيله بنفسه أو يشتري به محلات تجارية ويؤجرها أو يشتري سلعًا معمرة للمستقبل، ويجب أن يضع الفرد نصب عينيه دائماً تنمية ماله ولا يتركه عاطلاً كما يجب أن يوقن تماما أن مجالات الاستثمار الحلال مفتوحة ميسرة والمحرم هو الذي ورد نصٌ بتحريمه... كما يجب أن يتأكد من الحل في مجال الاستثمار وفي الوسيلة إليه مع (مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة) وهذه الوسيلة تصلح لمن عنده خبرة في مجالات الأعمال ولا تصلح لمن لا يستطيعون ضرباً في الأرض مثل الموظفين والأرامل والشيوخ ونحوهم.

ثانياً: الاستثمار عن طريق نظام المضاربة الإسلامية:

وهو نوع من أنواع المشاركة بين صاحب رأس المال وصاحب العمل حيث يتوفر لدى الأول رأس المال وتنقصه الخبرة العملية أو يصعب عليه القيام بممارسة المعاملات، ويتوفر لدى الثاني الخبرة والمقدرة على ممارسة نشاط المعاملات سواء أكانت تجارية أو زراعية أو صناعية أو خدمية ويتفقان سويًا على توزيع عائد ربح عمليات المعاملات الفعلية كل فترة زمنية بينهما بنسبة يتفقان عليها أي: تطبيق قاعدة الغنم بالغُرم.

وهناك شروط لعقد المضاربة... ولكن قد تتخذ أشكالاً مختلفة وكل أشكالها مشروعة ما لم تكن في أيٍ منها مخالفة صريحة لنصٍ شرعي، ومن أكثر نظم المضاربة شيوعا ما يلي:

(أ) نظام المضاربة المطلقة: وهي التي لا تتقيد بفترة زمنية أو بمكان أو بنوع النشاط أو تحديد الشخص الذي يقوم بالعمل أو بأي قيد من القيود الأخرى ما عدا القيود الشرعية.

(ب) نظام المضاربة المقيدة: وهي ما قيدت بشروط بعينها وقد تأتي القيود على الزمان أو المكان أو نوع النشاط... أو غير ذلك.

ومن الضوابط الشرعية للمضاربة الإسلامية ما يلي:

- أن تكون في مجالات الحلال الطيب.
- أن لا يضمن صاحب العمل رأس مال المضارب.
- أن لا يضمن صاحب العمل ربحاً محدداً مسبقاً لصاحب المال.
- يضمن صاحب العمل لصاحب المال التعدي والإهمال.

وحتى يمكن تطبيق هذه الوسيلة أو الصيغة يجب أن يتوافر في صاحب العمل: الأمانة والصدق والكفاءة الفنية، وهذا يتطلب من صاحب المال أن يختار الخبراء ومن يخافون الله.

ثالثاً: استثمار المال بطريق المشاركة:

يُقصد بالمشاركة في هذا المقام أن يشترك اثنان أو أكثر في تجارة أو صناعة أو زراعة أو تقديم الخدمات للغير كل منهم يقدم مالاً وعملاً، على أن يقتسما ما يسوقه الله إليهم من ربح حسب ما يتفقان عليه، وإذا خسرا توزع بينهم الخسارة بنسبة حصة كل منهما في رأس المال.

وتتعدد صور ونظم المشاركة حسب طبيعة الشركاء والعمليات التي سوف يقومون بها.. وفي ضوء القاعدة الشرعية: أن الأصل في المعاملات الحل والإباحة ما لم يصطدم بنصٍ شرعي يوجب التحريم فكل المشاركات حلال، فمنها المشاركة الثابتة ومنها المشاركة المنتهية بالتمليك، ويعتبر استثمار الأموال طبقاً لنظام

المشاركة من أهم الطرق المشروعة لملاءمتها مع طبيعة المشروعات الاقتصادية المعاصرة، وهناك طرق مختلفة للمشاركة أجازها فقهاء الإسلام نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

(أ) شركات المفاوضة: وتتمثل في أن يتعاقد اثنان فأكثر على أن يشتركا في نشاط اقتصادي، بشرط أن يكونا متساويين في رأس مالهما، وتصرفاتهما، ودينهما، ويكون كل واحد منهما كفيلاً عن الآخر فيما يجب عليه من شراء وبيع، كما قد يكون وكيلاً عنه، ولا يصح أن يكون تصرف أحد الشركاء أكثر من تصرف الآخرين، وتوزع الأرباح والخسارة بينهما بالتساوي أو حسب الاتفاق، وهي تشبه شركات التضامن في هذا الزمن.

(ب) شركات العنان: وتتمثل في أن يشترك اثنان أو أكثر في مال لهما على أن يتجروا فيه ويوزع الربح والخسارة بينهما بنسب معينة حسب الاتفاق ولا يشترط فيها المساواة في المال والتصرف والدين ولا في توزيع الأرباح، وتماثل شركات الأشخاص مثل التضامن والتوصية البسيطة.

(ج) شركات الوجوه: تقوم فكرة شركات الوجوه على جاه أحد الشركاء وثقة التجار به، فهي شركات تقوم على الذمم من غير صنعة ولا مال وتعتمد على الائتمان الممنوح من صاحب البضاعة للآخر الذي يحسن عملية التوزيع مقابل حصة من الأرباح يتفقون عليها.

ومن متطلبات هذه الصيغ وجود الشريك الأمين الصادق الكفء ومجال الاستثمار الحلال الطيب، كما يجب أن تكتب العقود وتوثق ويوضح فيها شروط الإدارة وتوزيع الأرباح والخسائر والتصفية أو التخارج أو نحو ذلك، وهذه الشركات هي قوام النشاط الاقتصادي والتنمية الشاملة للمجتمع وتعالج مشكلة التضخم لأن الأموال تكون مستثمرة في أصول عينية.

رابعاً: استثمار المال عن طريق المساهمات في رؤوس أموال الشركات المساهمة:

تعتبر شركات المساهمة وما في حكمها من صيغ الاستثمار التي أجازها الفقهاء المعاصرون لأنها تقوم على أساس قاعدة المشاركة في الربح والخسارة (الغنم بالغرم) بشرط أن تعمل في مجال الحلال الطيب.

ورأس مال الشركة المساهمة مقسم إلى حصص يطلق على كل حصة سهم، ويعتبر حامل السهم شريكاً في صافي موجودات (أصول) الشركة، وفي نهاية كل فترة مالية تحسب النتائج فإذا كانت ربحاً يوزع على حملة الأسهم بضوابط قانونية ونظامية وإذا تحققت خسارة يتحملها حملة الأسهم بحسب ما يمتلك كل منهم.

وتعتبر الشركات بصفة عامة والشركات المساهمة بصفة خاصة من دعائم الأنشطة الاقتصادية في أي دولة وبدونها يكون الكساد والتخلف، وتحاول الدول وضع النظم وسن القوانين لتشجيع هذا المجال من الاستثمار.

كما تعتبر الأسهم من أهم الأوراق المالية التي يتم التعامل عليها في سوق الأوراق المالية حيث تسهل من انسياب الأموال لتمويل المشروعات وهذا ما تسعى الدول لتحقيقه.

خامساً: استثمار الأموال بنظام المضاربة الإسلامية مع البنوك الإسلامية:

لقد أسست المصارف الإسلامية على أساس تجميع المال بصيغة المضاربة الإسلامية، فالعقد الذي بين المستثمر وبين المصرف الإسلامي هو عقد مضاربة يقوم على أساس قاعدة (الغنم بالغرم ولا مكسب بلا خسارة) ويقوم المصرف الإسلامي بتشغيل تلك الأموال واستثمارها مع الغير بصيغ المشاركة والمرابحة والإجارة والاستصناع والسلم ونحو ذلك، وما يأتي من ربح يوزع بينه وبين أصحاب الأموال وتقوم هيئات الرقابة في المصارف الإسلامية بالاطمئنان من أن هذه المعاملات تتم وفقا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وتعطى بذلك شهادة تنشر مع القوائم المالية.

إن العقود التي بين أصحاب الأموال (المستثمرين-المودعين) وبين المصرف الإسلامي هي عقود مضاربة لا يضمن فيها المصرف ربحا معينا ولا يحدده مقدما بل يعرف بعد استثمار هذه الأموال في تمويل المشروعات ومعرفة الأرباح الفعلية التي تقسم بينهم وبين المصرف وذلك في نهاية كل فترة مالية.







وبالرغم من الشبهات أو الأخطاء التي تقع فيها بعض المصارف الإسلامية في بعض الدول العربية والإسلامية والأجنبية إلا أنها في مجملها أفضل من إيداع الأموال في البنوك التقليدية التي هي موضع شك وريبة ولا يطمئن إليها كثير من الناس.

وهناك فرق شاسع بين أن تتعامل مع بنك يجتهد ليطبق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية وبين بنك علماني يفصل بين الدين والمعاملات ويتعامل بالربا ولو سُمي باسم آخر.

وفي هذا المقام نناشد المسئولين عن المصارف الإسلامية بأن يتقوا الله في معاملاتهم، كما نطلب من هيئات الرقابة الشرعية بذل المزيد من الجهد في الرقابة الفعالة لتأكيد الثقة وتجنب الشك وسد الذرائع أمام الناس.

سادسا: استثمار الأموال من خلال المؤسسات التعاونية:

تقوم المؤسسات التعاونية المختلفة على نظام المساهمة والمشاركة وفقاً لأسس معينة ولا تختلف هذه المؤسسات عن نظام الاستثمار في الشركات إلا من حيث نظم العمل والإدارة حيث تقوم على أساس قاعدة (المشاركة في الربح والخسارة - الغنم بالغرم) وعدم ضمان ربح معين.

ومن أمثلة ذلك تعاونيات الإسكان، تعاونيات النقل، تعاونيات التعليم، تعاونيات التأمين.

هناك صيغ استثمار أخرى ضاق المقام لبيانها مثل المزارعة والمساقاة والسلم والاستصناع والإجارة المنتهية بالتمليك وما ذكر كان على سبيل المثال لا الحصر.

الخلاصة في سلوك المسلم عند استثمار المال:

يجب عل المسلم المؤمن التقي الوجل الذي يبحث عن كيفية استثمار ماله أن يوقن بالثوابت الآتية:

• لقد أحل الله الربح الناتج من الأنشطة المختلفة الحلال الطيبة وحرم الربا.

• تجنب المعاملات التي فيها شبهات، فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فاتق الله أيها المستثمر.

• الالتزام بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"، ولا تغتر بالحرام ولو كثر المتعاملون به.

• عندما يحرم الله باباً من المعاملات يفتح أبوابا شتى من الحلال فسبحانه وتعالى الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

• ليس على ما يقال: (ضعها في رقبة عالم واخرج منها سالم) أي دليل من الكتاب أو السنة!! بل يجب التحري والاطمئنان إلى الأدلة واستفت قلبك.

• ليست هناك مصلحة مرسلة تتعارض مع نصوص الكتاب والسنة.

• لقد خُتمت آيات الربا بالتذكير بالإيمان والتقوى فاتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله... فهل أنتم متقون؟

خلاصة القول: توجد ضوابط شرعية تحكم السلوك الاقتصادي الإنتاجي والاستهلاكي والاستثماري في الاقتصاد الإسلامي. فالإنتاج يعتبر أهم مقومات تعمير الأرض لأنه يشبع الحاجات المادية والمعنوية، وإشباع الحاجات الضرورية يكون لحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وتوجد مسئوليات لكل من الدولة والفرد تجاه العملية الإنتاجية، وتوجد مقومات إسلامية لزيادة الإنتاجية وتحسين الجودة. كما توجد ضوابط شرعية لسلوك المستهلك ومقومات للسلوك الرشيد في الاقتصاد الإسلامي، وأهم الضوابط الشرعية هي الإنفاق على المباح شرعًا (الحلال الطيب) والاعتدال (بدون إسراف أو تقتير) والإنفاق وفقًا لمبدأ الأولويات الإسلامية، كما توجد ضوابط شرعية في تجنب المحرمات. أيضا توجد ضوابط شرعية ومقومات للسلوك الاستثماري، وصيغ بديلة للاستثمار وفقًا لنظام الفائدة الربوية وهي صيغ الاستثمار الإسلامي، وتتكامل السلوكيات الإنتاجية والاستهلاكية والاستثمارية في النظام الاقتصادي الإسلامي بهدف علاج المشكلات الاقتصادية.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة (٢)

البيعة العامة وخطبة الولاية

إعداد عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي جاء بالحق السديد، أما بعدُ:

ففي لقائنا السابق تحدثنا عن اجتماع السقيفة، وكيف تمت البيعة الخاصة من الحاضرينِ من الأنصار والمهاجرين في السقيفة كأهل الحل والعقد المخوَّلين باختيار الخليفة، ورأينا كيف وافق الأنصار على اختيار أبي بكر ومبايعته بعد أن كانوا قد أرادوا زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه للخلافة، وكيف قام زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكر، فقال: هذا صاحبكم».

وزيد بن ثابت رضي الله عنه من الأنصار، وهذا يدل على أن هؤلاء الرجال الكبار لم يكونوا منقادين بالهوى ولا بالعصبية، ولا حب الرياسة، بل كانوا منقادين بالوحي، وقد اجتهد كل منهم رأيه، لكن الجميع انقادوا للوحي من الكتاب والسنة عندما ذكَّرهم به أبو بكر رضي الله عنه، فترك الجميع اجتهادهم خلف ظهورهم؛ لأنه لا اجتهاد مع نصٍّ، فكانوا جميعًا وقَّافين عند حدود الله؛ لأن هدف الجميع كان درء الفتنة وجمع الأمة ونبذ الفُرقة، فلما وجدوا ذلك متحققًا- بإذن الله- في ولاية أبي بكر لم يتردد أحد في مبايعته بما فيهم سعد بن عبادة رضي الله عنه، وهكذا تمت البيعة الخاصة لأبي بكر.

والآن نقف في هذا اللقاء مع ما حدث في اليوم التالي:

حدث في اليوم التالي أمران مهمان: الأول: البيعة العامة، والثاني: خطبة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا ما نستعين بالله على مناقشته.

الأمر الأول: البيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونترك الحديث هنا للصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه حيث يقول: «لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر رضي الله عنه فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد جمع أمركم على خيركم؛ صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة».

نعم تمت البيعة العامة، وهذا ما كان يحرص عليه عمر رضي الله عنه؛ لأن كثيرًا من المهاجرين لم يكن حاضرًا في السقيفة، وبخاصة علي رضي

الله عنه والزبير بن العوام رضي الله عنه والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم.

ويدل لذلك ما أخرجه ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «وصعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت: ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا فدعا به فجاء، فقال: قلت: ابن عم رسول الله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه». وهكذا تمت البيعة الخاصة والعامة لأبي بكر رضي الله عنه، ولا ينكر ذلك إلا صاحب هوى نعوذ بالله منه.

تنبيه مهم:

قد كثُر اللغط بل والكذب حول بيعة علي رضي الله عنه، بل زعم من زعم من الروافض أن عليًا كان أحق بالخلافة من أبي بكر، وهذا زعم باطل لا أساس له من الصحة تنقضه النصوص الصريحة الصحيحة التي جاءت في هذا الموضوع، وقد قدمنا جزءًا منها، وكذلك تنقضه سيرة عمر رضي الله عنه وصحبته الكريمة لأبي بكر وعمر وعثمان، وكذلك تنقضه أخلاقه وصفاته الكريمة وشجاعته وجرأته في الحق بل تصريحه بذلك رضي الله عنه عندما قدم إلى البصرة في خلافته، وقد سأله ابن الكواء وقيس بن عبادة عن حقيقة أمر الوصية، فقال لهما رضي الله عنه: «لو كان عندي من النبي عهد في ذلك- يعني في الخلافة- ما تركت أخا بني تميم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بُردي هذا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، بل مكث بيننا أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، وقد حاولت عائشة رضي الله عنها أن تصرفه عن أبي بكر فغضب، وأصر على قوله: مروا أبا بكر يصل بالناس.

ثم تابع علي رضي الله عنه قوله: فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه النبي لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أعظم الأمور وقوام الدين فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلاً، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم نقطع منه البراءة فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له فضله وطاعته وغزوت معه في جنده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي».

وهذا قول جيد يوافق العقول السليمة والنصوص الصريحة الصحيحة، ويوافق سيرة علي مع أبي بكر وعمر وعثمان وإجماع الصحابة، وقد نقله صاحب تاريخ الإسلام، والأدلة على صدق هذا القول نقلها علماء أجلاء مثل ابن كثير وغيره ولا يتسع المجال هنا لمزيد بسط.

الأمر الثاني: خطبة أبي بكر بعد البيعة:

وبعد أن تمت البيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وكان جالسًا على منبر رسول الله تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، فإني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله؛ لا يدع قوم الجهاد في سبيل إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله». (نقله ابن كثير في البداية والنهاية وصحح سنده).

وهذه الخطبة بالمصطلح الحديث في علم السياسة تسمى خطبة العرش التي بيَّن فيها الخليفة أو الملك أو الرئيس برنامج عمله في إدارة شئون الحكم، وهي خطبة ليست بفارسية، ولا رومية، ولا حتى عربية، وإن كانت بلسان عربي (أقصد أنها ليست على النظام الجاهلي الذي كان يحكم قبل الإسلام)، وهي كذلك ليست خطبة شيوعية اشتراكية تتحكم فيها الدولة في حياة الناس وحركاتهم وسكناتهم واقتصادهم وحرياتهم، وهي ليست خطبة رأسمالية يتحكم الأغنياء

فيها في مصير الفقراء، وليست خطبة في دولة ليبرالية تنطلق فيها الحريات بغير قيد ولا شرط، وليست خطبة ميكافيلية الغاية فيها تبرر الوسيلة ويستحل فيها الحكام كل الأساليب الخبيثة للوصول إلى أهدافهم مذمومة كانت أو ممدوحة.

إنما هي خطبة لدولة تستمد من كتاب الله وسنة رسوله ويحكمها حاكم مسلم لا يرى له فضلاً على غيره من الناس وإن كان هو أفضلهم حقاً، دولة يحترم فيها الحاكم حق كل فرد مسلم ويسوسهم بالعدل والإحسان ويُعلي من شأن الصدق والأمانة ويحذر من الكذب والخيانة، يعلي من شأن الجهاد الذي تصان به الحرمات ويتحقق به عزة الدين وعزة المؤمنين، دولة تصان فيها الحقوق والحرمات وتحارب فيها الرذيلة، وتشاع فيها الفضيلة، ويطاع فيها الله ورسوله ويحكمها قانون: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

هذه نظرة مجملة إلى هذه الخطبة العظيمة النادرة، وأرجو أن يتسع المجال الآن للوقوف مع بعض المعاني السامية التي جاءت بهذه الخطبة الفريدة والتي قد جمعت على اختصارها أمهات المسائل في صلاح دنيا الناس ودينهم فهي جديرة بالتأمل فيها:

١- قول أبي بكر رضي الله عنه: «إني وُلِّيت عليكم ولست بخيركم»، بلى والله هو خيرهم كافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه من قوم يحسنون العمل ويسيئون الظن بأنفسهم وهم قوم وصفهم الله سبحانه في كتابه بقوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ » (المؤمنون: ٥٧- ٦١).

فهذه بلا شك أوصاف الجيل الأول من الصحابة الكرام وفي مقدمتهم أبو بكر رضي الله عنه.

٢- وقوله رضي الله عنه: «إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني». هذا إقرار بعدم العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقرار بواجب النصح لولاة الأمر (بضوابطه الشرعية)، ولم يقل لهم: «ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد». وهي مقولة فرعون لقومه ومقولة كل حاكم مستبد قبل فرعون وبعده.

٣- وفي قوله رضي الله عنه: «الصدق أمانة والكذب خيانة». إقرار بالمبدأ الذي يحكم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وهو الذي يطلقون عليه اليوم مبدأ الشفافية والمصارحة، فإن غياب الصدق والمصارحة بين الحاكم وشعبه خيانة للأمانة منه ومنهم، فإن أساس نجاح العلاقة بين الجميع هي الصدق سواء كان من الحاكم لشعبه أو من الأمة مع الحاكم، أو من أفراد الأمة وبعضهم، فالصدق يهدي إلى البر، وهو جماع الخير والذي بدوره يهدي إلى الجنة.

وفي قوله رضي الله عنه: «الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح (أي أعيد) الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه». هذا مبدأ العدالة الاجتماعية الذي هو أساس الملك وأساس الأمن والاستقرار وضياع العدل طريق إلى الهلاك، وهو قدم المشيئة واستمد العون في الله إقامة هذا المبدأ العظيم، ثم أقر بعد ذلك واجب الحاكم في قيادة الأمة للجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله والحفاظ على دين الأمة ومقدساتها وشعائرها ودفع الأعداء المتربصين بالأمة، فذلك سبيل عزتها وكرامتها والحافظ على بيضتها.

٤- ثم أقر مبدأ إشاعة الفضيلة ومحاربة الرذيلة وأوضح أن إشاعة الفاحشة في الأمة سبب كل بلاء.

٥- ثم أقر أهم المبادئ أن طاعته منهم مرهونة بطاعته هو لله ورسوله، فإن عصى الله ورسوله فلا طاعة له عليهم فيما عصى فيه الله ورسوله، فليست هناك طاعة مطلقة إلا لله ورسوله وكل طاعة لمخلوق مشروطة بطاعته لله ورسوله.

إن العالم بأسره بشرقه وغربه شماله وجنوبه في حاجة لتعلم هذه المبادئ التي استخلصها أبو بكر رضي الله عنه من الكتاب والسنة فهي مبادئ إسلامية ربانية تحكم سياسة البشر، فكم يحتاج هذا الدين العظيم إلى رجال صادقين يفهمونه ويعملون به ويدعون البشرية إليه.

والحمد لله رب العالمين.





تذكير الأحباب بالفرق بين العرض ومناقشة الحساب

إعداد: د. مرزوق محمد مرزوق

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد..

فلا تزال القلوب تذوب من كمد لما ألَمَّ بأمة الإسلام من أهوال وآلام، لكننا نرجو أن تكون سحابة صيف توشك أن تنتهي، فليس ضياع القدس بحديث شهر قد عبر، ولا استحلال الدماء المعصومة بجرح واندمل، ولا ما يشابه هذه الأخطار، لكننا نستبشر إن شاء الله؛ إذ إن مع العسر يسرًا، والنصر مع الصبر، ولكنها أسباب يجريها الله عز وجل، وعبادة وقت يكلف بها أولياءه، فليست الأماني بكافية، فلابد من حساب النفس لتشخيص الداء (من يعمل سوءا يجز به)، فبم كسبت أيدينا ويعفو ربنا عن كثير، ولقد رجوت أن تكون وقفة الحساب في الدنيا، كما أنها سبب في الرحمة من مناقشة الحساب في الآخرة، أن تكون سببًا في رفع بلاء الدنيا أيضاً ، فكان حديث أمنا عائشة رضي الله عنها في الصحيحين وغيرهما.

الحديث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حُوسِبَ يوم القيامة عُذِّبَ. فقلت: أليس قد قال الله عز وجل «فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا»؟ فقال: ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض؛ من نُوقِشَ الحساب يوم القيامة عُذِّبَ».

التخريج:

الحديث متفق عليه؛ رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (٤٩٣٩) (٦٥٣٦)، ورواه مسلم في كتاب التفسير باب: في قوله تعالى: «فسوف يحاسب حساباً يسيراً» (٢٨٧٦)

المعنى العام:

قوله صلى الله عليه وسلم: «من حوسب عُذِّب» هو من الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة، فلما سمعت أم المؤمنين ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم استشكل عليها الأمر، فكيف من يحاسب يُعذَّب وقد قال الله: (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا)، لذا قالت رضي الله عنها: أليس يقول الله-تعالى-: (فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا)؟

ولأحمد من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا» فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، وأن هذا اليسير هو العرض؛ إن من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هَلَك».

لذا رد عليها النبي صلى الله عليه وسلم مبينًا لها أن ذلك هو العرض، وأن مَن نُوقِشَ الحساب فليس حسابه باليسير

فهو المعذَّب، والله أعلم. ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦٥٤١/١٥)، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم، والصواعق المرسلة (١٠٥٤/٣).

بعض ما يستفاد من الحديث:

الأول: الحديث حجة في إثبات الحساب وإثبات العرض وهما مسألتان عقديتان ثابتتان بالكتاب والسنة والإجماع، ولو لم تثبتا إلا بمثل هذا الحديث لكفى؛ إذ الحديث النبوي عمومًا حجة بنفسه في العقائد والأحكام؛ خلافًا لمن أنكر ذلك.

الثاني: أن مجرد مناقشة الحساب والسؤال عن الصغيرة والكبيرة نوع من العذاب حتى ولو عُفي عن صاحبه بعد ذلك؛ قال الحافظ في الفتح: «قال عياض: قوله: «عُذِّب» له معنيان: أحدهما: أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ تعذيب، الثاني أنه يفضي إلى استحقاق العذاب؛ إذ لا حسنة للعبد إلا من عند الله لإقداره عليها وتفضله عليه بها وهدايته لها، ولأن الخالص لوجهه قليل، ويؤيد هذا الثاني قوله في الرواية الأخرى «هلك»، وقال النووي: «التأويل الثاني هو الصحيح، لأن التقصير غالب على الناس فمن استُقصي عليه ولم يُسامح هلك».

الثالث: وفيه من آداب العالم والمتعلم: جواز مراجعة المتعلِّم للعالم، وصبر العالم على المتعلم.

الرابع: وقد أخرته للتفصيل فيه- هو بيان الفرق بين العرض ومناقشة الحساب: وفي هذا أستعين بالله وأستغفره وأقول:

الناس يوم القيامة في حسابهم على أقسام:

١- منهم من يدخل الجنة بلا جزاء ولا حساب... كما جاء في حديث السبعين ألفًا، كما قال صلى الله عليه وسلم (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب؛ هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) رواه البخاري وغيره واللفظ للبخاري. وزاد الترمذي «مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل». وقال الألباني: صحيح.

ولا يشترط أن يكون هؤلاء هم أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد ورد في السنة ما يدل على أن ممن يحاسب قبل دخول الجنة من هو أفضل من هؤلاء السبعين ألفًا، قال الحافظ في الفتح: (ج١٥/ح٦٥٤١): وقد أخرج أحمد من حديث رفاعة الجهني: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن الجنة».

٢- ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا ومناقشتهم مناقشة ذنوب.. وهؤلاء هم الكفار والمشركون... يناقشهم الله أعمالهم حتى يزيد ندمهم وتعظم خيبتهم ثم يدخلهم النار.

٣- أما عموم المسلمين... فينقسم حسابهم إلى أقسام:

- قسم غلبت حسناته على سيئاته... فهؤلاء تعرض أعمالهم على الله ويقررهم بها.. فيقرون بذنوبهم ويعترفون فيسترها الله عليهم ويغفر لهم بفضله ورحمته.

- وأهل الأعراف.. وهم أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم.. فهؤلاء مردهم إلى رحمة الله تعالى.. إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذَّبهم.

- قسم غلبت سيئاته حسناته وقد استحقوا عقاب الله.. لكنهم تحت المشيئة.. إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم. ينظر (فتح الباري ٤٠٢/١١) وعليه:

١- العرض العام وهو للصالح والطالح.

٢- العرض بغير حساب وهو لطائفة من المؤمنين (سبعون ألفًا يدخلون الجنة).

٣- العرض مع الحساب اليسير وهو (فأما من أوتي كتابه بيمينه....).

- العرض مع الحساب والمناقشة ويلزمه العذاب وهو نوعان: الأول: لعصاة المؤمنين الذين كتب الله لهم العفو ومن ذلك حديث النجوى (يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعلمت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول له: إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)، فهذه المناقشة وهذا الاعتذار نوعٌ من التوبيخ والعذاب. قال المناوي في شرح الجامع الصغير: (من نُوقِش الحساب) أي عُوسِرَ فيه (عُذِّبَ) أي تكون نفس تلك المضايقة عذابًا أو سببًا مفضيًا للعذاب ا.هـ.

- والثاني: العرض مع الحساب والمناقشة ما يكون هلاكًا كما هو الحال مع مَن يُعذَّب من عصاة المؤمنين غير المعفو عنهم أو مع الكافرين، وتختلف مناقشة من يعذب من عصاة المؤمنين عمن يعذب من الكافرين؛ إذ الكافرون لا حسنات لهم، فتكون مناقشتهم مجرد إيقافهم على أعمالهم.

قال الشيخ محمد خليل هرّاس-رحمه الله- في شرحه على الواسطية، عند شرحه لقول المؤلف: «يُحَاسِبُ اللهُ الخَلاَئِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ في الْكِتَابِ والسُّنَّةِ.وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلاَ يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا». (وهذا مع اختلاف درجات العذاب).

- هذا وننبه على فائدتين ليستا من الحديث لكن تتعلقان بعفو الله عزوجل:

الفائدة الأولى: ليس معنى العفو أن تضيع حقوق العباد ففي الحساب تؤدَّى كلُّ الحقوق لأصحابها؛ حتى يصل العدل أن تُقضَى حقوق البهائم إليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَاد للشاة الجَلْحَاء من الشاة القَرْناء)) مسلم (٢٥٨٢)

الفائدة الثانية: وليس معنى العفو أنه استحقاق للعبد؛ فإن العبد مهما كان محسنًا فإن دخوله الجنة تفضُّل من الله – عز وجل- وامتنان على عباده؛ إذ إن دخول الجنة برحمة الله.

وختامًا: فإننا لازلنا نذكّر أنفسنا وإخواننا أن المخرج من الفتن والأزمات التي تلم بالأمة عامة وبالفرد خاصة إنما هي بتحقيق الإيمان ابتداءً، والذي من وسائله الوقوف على مثل هذه الدقائق التي من شأنها أن يراجع العبد نفسه إذ يتصور والأرض تشرق بنور ربها ويتجلى الله للقضاء بين عباده وكلهم يُعرَضُون على الملك الجبار لا تخفى منهم خافية، والخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض من الأولين والآخرين في أرض المحشر ينتظرون فصل القضاء وما زالت الشمس فوق الرؤوس متعامدة وما زال الناس يلجمهم العرق، والقلوب، واجفة، والأبصار خاشعة.

فانظر يا أخي في هول ذلك اليوم وشدته، وقد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها، فبينما هم كذلك، تتنزل ملائكة من أرجاء السماء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والكل ينتظر عفو الله العفوّ؛ فاللهم اشملنا بعفوك يا أرحم الراحمين، وأدخلنا الجنة مع عبادك الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

متى يُرفَع اللوم عن المخالف؟

الحلقة الخامسة

إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فحديثنا اليوم عن ضوابط رفع اللوم عن المخالف:

١- أن تقع المخالفة في خفي الأمور ودقيقها.

٢- أن يكون بعد اجتهاد استفرغ وسعه في طلب الحق.

٣- أن يكون له من الصواب والاتباع ما يغمر ذلك، ويكون الحق له سجية.

في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق». رواه البخاري.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «فقد أعذر النبي صلى الله عليه وسلم غير المكلَّف من الدواب باستصحاب الأصل.

ومن قياس الأولى إذا رأينا عالمًا عاملاً، ثم وقعت منه هفوة، فهو أولى بالإعذار، وعدم نسبته إليها، والتشنيع بها عليه استصحابًا للأصل، وغمر ما بدر منه في بحر علمه وفضله..». (تصنيف الناس: ص٨٠).

وقال السبكي رحمه الله: «إذا كان الرجل ثقة مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظه وكتاباته على غير ما تُعُوِّد منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح وحسن الظن الواجب به وبأمثاله». (قاعدة في الجرح والتعديل ص٩٣).

لا يتبع العالم في زلته مع معرفة فضله، وعدم إهدار علمه:

ومن هنا نعلم شدة تحذير السلف من زلة العالم؛ لما يترتب عليها من آثار كثيرة يصعب إزالتها، وخاصة إذا شاع القول وسارت به الركبان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ويل للأتباع من عثرات العالم؟ قالوا: كيف ذاك؟ قال: يقول العالم شيئًا برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم منه، فيترك قوله ثم يمضي الأتباع". (شرح السنة للبربهاري ص١٠٦).

ويقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: "إياكم وزيغة الحكيم؟ قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي كلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه، فاحذروا زيغته".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس لأحد أن يتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا كما قال الله تعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا» (البقرة:٢٨٦)، قال الله: قد فعلت. وأمرنا أن نتبع ما أنزلَ إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء، وأمرنا ألا نطيع مخلوقًا في معصية الخالق، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فنقول: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» (الحشر:١٠)، الآية، وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور، ونُعظِّمُ أمرهُ تعالى بالطاعة لله ورسوله ونرعى حقوق المسلمين، لاسيما أهل العلم منهم كما أمر الله ورسوله.

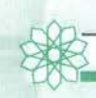
ومن عدل عن هذا الطريق فقد عدل عن اتباع الحجة إلى التقليد واتباع الهوى وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فهو من الظالمين، ومن عظم حرمات الله وأحسن إلى عباد الله كان من أولياء الله المتقين، والله سبحانه أعلم. (الفتاوى: ٤/٤٦٥).

وعليه، فالمقصود أن يعلم الشباب مكانة الشيوخ، وينزلونهم منازلهم اللائقة بهم دون إفراط أو تفريط، فلا نرفعهم فوق مرتبة البشر؛ بحيث نقول بعصمتهم، ولا نمتهنهم ونزدري كرامتهم أمام العامة حتى يسقطوا في نظرهم، بل الواجب إجلالهم والتماس الأعذار لهم مع مواصلتهم ومرافقتهم بأدب واحترام تقديرًا لمكانتهم التي حباهم الله بها.

وهذا من تمام النصح لأئمة المسلمين؛ فإن من إجلال الله تعالى إجلال ذي الشيبة المسلم، فهذا لو كان شيخًا كبيرًا من عامة المسلمين، فكيف وهو من علماء المسلمين وحملة علم الوحي؟!

فحذار الخوض في لحوم العلماء فإنها مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة كما قال ابن عساكر، وقال أيضًا: «ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله قبل الموت بموت القلب». وقال ابن المبارك: "من استخف بالعلماء ذهبت آخرته". وقال أبو سنان الأسدي: «إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، متى يُفلح». (ترتيب المدارك: ٤/١٠٤).

نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٥)

٦٠٥- « إن أحبَّ ما يقولُ العبدُ إذا استيقظ من نومِه: سبحان الذي يُحْيِي ويُمِيتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٧٩/١١) من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن الزهري، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا، وعلته الوقاصي، ففي «سؤالات إبراهيم بن الجنيد» (٢٦٦) قال: سألت يحيى بن معين عن الوقاصي؟ قال: «لا يكتب حديثه، كان يكذب». اهـ.

وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٥٠): «وعثمان الوقاصي: تركوه». اهـ. وقال الإمام النسائي في «المتروكين» (٤١٨): «متروك الحديث». اهـ. وأورده الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٠٣)، ذاكرًا الاسم فقط، قال: «عثمان بن عبد الرحمن يُعرف بالوقاصي مدني». اهـ. فيظن من لا دراية له بمناهج علماء الجرح والتعديل أنه لم يذكر فيه جرحًا، ولكن مجرد ذكره يدل على شدة ضعفه؛ حيث قال الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع الإمام ابن حمكان للإمام الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

وقال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨٦٥/١٥٧/٦): «سألت أبي عن عثمان الوقاصي فقال: «متروك الحديث، ذاهب الحديث كذاب». وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩٨/٢): «كان ممن يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به». اهـ.

قلت: ويغني عنه الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٦٣٢٤) من حديث حذيفة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». وأخرجه أيضًا البخاري في «صحيحه» (ح٦٣٢٥) من حديث أبي ذر مرفوعًا.

٦٠٦- « لا يَمْسَحُ الرَّجُل جَبْهَتَهُ مِنَ التُّرَاب حِينَ يَفْرَغُ مِنَ الصَّلاة، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ أَثَرُ السُّجُود فِي وَجْهِه، وَلا بَأْسَ أَنْ يَمْسَحَ الْعَرَقَ عَنْ صُدْغَيْه».

الحديث لا يَصح: أَخْرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المَجروحين» (٩٩/٢) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وعلته عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وهو متروك ذاهب الحديث كذاب يروي الموضوعات كما بينا آنفًا.

٦٠٧- « إذا عَادَ أحدُكُم مريضًا فلا يأكلْ عنْدَه شيئًا؛ فإنَّه حَظُّهُ من عيادته».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الديلمي (٢٠٨/١- الغرائب الملتقطة) (ح٢٠٩) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عثمان الوقاصي وهو متروك ذاهب الحديث كذاب يروي الموضوعات، كما بينا آنفًا.

٦٠٨- « يا عليُّ أنتَ أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٧١٢/٢٦٨/١٢) من حديث علي بن أبي

طالب مرفوعًا، وعلته عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وهو متروك ذاهب الحديث كذاب يروي الموضوعات كما بينا آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل.

٦٠٩- « ركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلة فحادَت به فحبسها، وأمر رجلاً أن يقرأ عليها «قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق»؛ فسكنت».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨/٣) (٥٨٠/١٠) من حديث أنس مرفوعًا، وآفته خالد بن يزيد العمري، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٦٠/٢/١): «حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني قال: سمعت يحيى بن معين يقول: «خالد بن يزيد العمري كذاب». وقال: سُئل أبي عن خالد بن يزيد المكي فقال: «كان كذاب أتيته بمكة ولم أكتب عنه وكان ذاهب الحديث». وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٨٠/١): «يروي الموضوعات عن الأثبات»». اهـ.

٦١٠- « الفكْر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٧٨/٣) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد لهذا الحديث أصلاً».اهـ.

٦١١- « إذا عطس العاطس، فابدأوه بالحمد، فإن ذلك دواء من كل داء من وجع الخاصرة».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨/٣) من حديث ابن عمر مرفوعًا. وعلته خالد بن يزيد العمري، وهو كذابٌ، ذاهب الحديث، يروي الموضوعات عن الأثبات كما بينا آنفًا، وقال ابن عدي: «هذا حديث منكر»، وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٤٧٦/٦٤٦/١)، وجعله من مناكير خالد العمري».

٦١٢- « سيِّد الأعمال الجوع، وذل النفس لباس الصوف».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٧٨/٣) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد لهذا الحديث أصلاً». اهـ.

٦١٣- « حُسن الخُلق خُلق الله العظيم».

الحديث لا يصح: خرَّجه وحققه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤٩/٣) فقال: حديث «حُسن الخلق خلق الله العظيم»، الطبراني في «الأوسط» من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف. اهـ.

قلتُ: لا بد من معرفة العلة والتي بها تُعرف درجة هذا الضعف فقد زلت بعدم المعرفة أقدام وضلت أفهام، فهذا الحديث أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (١٥٦/٩- ط. دار المعارف بالرياض) (ح٨٣٤٠) قال: حدثنا موسى بن زكريا، قال: حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي، قال: حدثنا إبراهيم بن عطاء، عن يزيد بن عياض، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن عمار بن ياسر مرفوعًا، ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا يزيد بن عياض ولا عن يزيد إلا إبراهيم بن عطاء، تفرد به عمرو بن الحصين». اهـ.

قلتُ: فالحديث غريب، وكذلك رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٧٥/٢) وعلته: يزيد بن عياض بن جُعد به الليثي حيث أخرج الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١٩٢/٢٨٢/٩) بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم قال: «سألت مالكا عن ابن سمعان فقال: كذاب، قلت: يزيد بن عياض؟ قال مالك: أكذب وأكذب». ولذلك قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٤٠٦): «منكر الحديث»، وعلة أخرى: عمرو بن الحصين قال الحافظ في «التقريب» (٦٨/٢): «متروك». اهـ. وبهذا يصبح الحديث في أشد مراتب الضعف، موضوع.

٦١٤- «مَن كان له من قلبه واعظ؛ كان عليه من الله حافظ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١١/٣) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».



باب الطهارة

(الحلقة الخامسة)

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في الحلقة السابقة بعض الأحكام المتعلقة بالحيض، كنجاسة دم الحيض، وكيفية تطهير الثوب منه، وطهارة سؤر الحائض وعرقها وسائر جسدها وتحريم وطء الحائض، ونستكمل ما بدأناه في الحلقة السابقة.

أولاً: متى يجوز إتيان الحائض إذا طهرت؟

قال تعالى: « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ » (البقرة: ٢٢٢).

ذهب جمهور العلماء إلى أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تغتسل، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وابن حزم وغيرهم.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣/٩١): "قوله تعالى: فَإِذَا تَطَهَّرْنَ يعني بالماء، وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء أن الطهر الذي يحل به جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهر الجنب".

جاء في الأم للشافعي (١/١٢٩): "وأبان الله عز وجل أنها حائض غير طاهر، وأمر أن لا تُقرب حائض حتى تطهر، ولا إذا طهرت حتى تتطهر بالماء، وتكون ممن تحل لها الصلاة، ولا يحل لامرئ كانت امرأته حائضًا أن يجامعها حتى تطهر، فإن الله تعالى جعل التيمم طهارة إذا لم يوجد الماء".

> وطء الحائض قبل الغسل حرام، وإن انقطع دمها في قول أكثر أهل العلم.

وفي التمهيد لابن عبد البر (١/٤٩٤، ٤٩٥): "قال: إن قول الله عز وجل: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) دليل على بقاء تحريم الوطء بعد الطهر حتى يتطهرن بالماء، لأن تطهرن تفعلن، مأخوذ من قول الله: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) يريد الاغتسال بالماء، وقد يقع التحريم بالشيء ولا يزول بزواله لعلة أخرى، دليل ذلك قول الله عز وجل: (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) وليس تحل له بنكاح الزوج حتى يمسها ويطلقها، وكذلك لا تحل الحائض للوطء بالطهر حتى تغتسل".

قال ابن قدامة في المغني (١/٢٤٧): "إن وطء الحائض قبل الغسل حرام، وإن انقطع دمها في



قول أكثر أهل العلم.

قال ابن المنذر: هذا كالإجماع منهم. وقال أحمد بن محمد المروذي: "لا أعلم في هذا خلافًا. وقال أبو حنيفة: إن انقطع الدم لأكثر الحيض حل وطؤها. وإن انقطع لدون ذلك لم يبح حتى تغتسل أو تتيمم أو يمضي عليها وقت صلاة؛ لأن وجوب الغسل لا يمنع من الوطء بالجنابة.

ولنا قول الله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) يعني إذا اغتسلن. هكذا فسره ابن عباس، ولأن الله تعالى قال في الآية: (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) فأثنى عليهم. فيدل على أنه فعل منهم أثنى عليهم به، وفعلهم هو الاغتسال دون انقطاع الدم فشرط إباحة الوطء شرطان: انقطاع الدم، والاغتسال فلا يباح إلا بهما.

وهذا ما ذهب إليه ابن حزم في المحلى (٣٩١/١) مسألة (٢٥٦).

ثانيًا: علامة الطهر من الحيض:

تطهر المرأة بأحد أمرين:

الأول: القصة البيضاء: وهي سائل أبيض شفاف يخرج من النساء في آخر الحيض، يكون علامة على الطهر.

الثاني: الجفاف التام: وذلك بأن تدخل المرأة قطنة أو خرقة في فرجها، فتخرج بيضاء ليس فيها شيء من الدم لا صفرة ولا كدرة ولا غيرهما.

جاء في حاشية الصاوي على الشرح الصغير(٢١٤/١): " علامة الطهر أي انقطاع الحيض أمران: الجفوف: أي خروج الخرقة خالية من أثر الدم وإن كانت مبتلة من رطوبة الفرج، والقصة: وهي ماء أبيض كالمني أو الجير المبلول. والقصة أبلغ: أي أدل على براءة الرحم من الحيض، فمن اعتادتها أو اعتادتهما معًا طهرت بمجرد رؤيتها فلا تنتظر الجفوف".

ثالثًا: هل تحيض الحامل؟

للعلماء قولان في المسألة:

القول الأول: أنها لا تحيض، وإلى هذا القول ذهب الحنفية (المبسوط ٣٤/٢)، وبعض الشافعية (روضة الطالبين ١٧٤/١)، والحنابلة (المغنى ٢٦٢/١)، وابن حزم (المحلى ٤٠٤/١).

واستدلوا بأدلة:

الدليل الأول: قوله تعالى: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» (البقرة: ٢٢٨)، وقوله تعالى: «وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» (الطلاق: ٤)؛ فدل هذا على أن الحامل لا تحيض، إذ لو كانت تحيض، لكانت عدتها ثلاث حيضات كغير الحامل- الشرح الممتع ٤٦٩/١.

الدليل الثاني: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سبي أوطاس: «لَا تُوطَأُ حَامِلٌ- قَالَ أَسْوَدُ: حَتَّى تَضَعَ- وَلَا غَيْرُ حَامِلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً. قَالَ يَحْيَى: أَوْ تُسْتَبْرَأُ بِحَيْضَةٍ»- صحيح أبي داود (٢١٥٧)، والدارمي (٢٢٩٥).

فبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحرم على الرجل أن يطأ الأمة المسبية إذا كانت حاملاً حتى تضع حملها، وإذا كانت غير حامل فلا يطأها حتى تحيض حيضة؛ إذ لا براءة لرحمها بغير الحيض، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم وجود الحيض علامة على براءة الرحم.

الدليل الثالث: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس؛ فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»- أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

> علامة طهر المرأة:
> ١- القصة البيضاء.
> ٢- الجفاف التام من الدم والصفرة والكدرة.

وفي لفظ لمسلم (١٤٧١/٥): «مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا، أو حاملاً».

فدل ذلك على أن الحامل تكون طاهرًا لا تحيض.

الدليل الرابع: أن العادة جرت أن الحامل لا تحيض، قال الإمام أحمد رحمه الله: «إنما تعرف النساء الحمل بانقطاع الدم»- الشرح الممتع ٤٦٩/١.

القول الثاني: أنها تحيض، وفي هذه الحالة تمسك عن الصلاة، وإليه ذهب بعض المالكية (الاستذكار ٣٢٧/١)، وبعض الشافعية (روضة الطالبين ١٧٤/١). وحجتهم: قوله تعالى: « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى » (البقرة:٢٢٢)، وهذه الآية عامة، نعم ما كان في الحمل أو في غير الحمل.

ومما ردوا به أدلة أصحاب القول الأول قول ابن عبد البر في التمهيد (٨٧/١٦): "وليس في قوله عليه السلام: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا حامل حتى تحيض» ما ينفي أن يكون حيض على حمل؛ لأن الحديث إنما ورد في سبي أوطاس حين أرادوا وطأهن فأخبروا عن الحامل لا براءة لرحمها بغير الوضع ،والحامل لا براءة لرحمها بغير الحيض لا أن الحامل لا تحيض".

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٦٥١/٥-٦٥٣) في معرض ذكره لأدلة من قال بأن الحامل تحيض: "لا نزاع أن الحامل قد ترى الدم على عادتها، لاسيما في أول حملها، وإنما النزاع في حكم هذا الدم لا في وجوده. وقد كان حيضًا قبل الحمل بالاتفاق، فنحن نستصحب حكمه حتى يأتي ما يرفعه بيقين. والحكم إذا ثبت في محل، فالأصل بقاؤه حتى يأتي ما يرفعه،...ولأن الدم الخارج من الفرج الذي رتب الشارع عليه الأحكام قسمان: حيض واستحاضة، ولم يجعل لهما ثالثًا، وهذا ليس باستحاضة، فإن الاستحاضة: الدم المطبق، والزائد على أكثر الحيض، أو الخارج عن العادة، وهذا ليس واحدًا منها، فبطل أن يكون استحاضة، فهو حيض،.. ولا يمكنكم إثبات قسم ثالث في هذا المحل، وجعله دم فساد، فإن هذا لا يثبت إلا بنص أو إجماع أو دليل يجب المصير إليه، وهو منتف.

قالوا: وقد رد النبي- صلى الله عليه وسلم- المستحاضة إلى عادتها، وقال: «اجلسي قدر الأيام التي كنت تحيضين».فدل على أن عادة النساء معتبرة في وصف الدم وحكمه، فإذا جرى دم الحامل على عادتها المعتادة، ووقتها من غير زيادة ولا نقصان ولا انتقال، دلت عادتها على أنه حيض، ووجب تحكيم عادتها، وتقديمها على الفساد الخارج عن العبادة.

> لا نزاع أن الحامل قد ترى الدم على عادتها، لاسيما في أول حملها، وإنما النزاع في حكم هذا الدم لا في وجوده.

وحديث ابن عمر فيه إباحة الطلاق إذا كانت حاملاً بشرطين: الطهر وعدم المسيس، فأين في هذا التعرض لحكم الدم الذي تراه على حملها، وليس في هذا ما يدل على أن دم الحامل دم فساد، بل على أن الحامل تخالف غيرها في الطلاق، وأن غيرها إنما تطلق طاهرًا غير مصابة، ولا يشترط في الحامل شيء من هذا، بل تطلق عقيب الإصابة، وتطلق وإن رأت الدم، فكما لا يحرم طلاقها عقيب إصابتها، لا يحرم حال حيضها.

الراجح:

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم أرى أن الراجح هو ما ذهب إليه الحنفية وبعض الشافعية والحنابلة وابن حزم ومن وافقهم من أن الحامل لا تحيض؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل وجود الحيض علامة على براءة الرحم، ولو كانت الحامل تحيض لكانت عدتها ثلاث حيض كغير الحامل، وعلى ذلك فإذا رأت الحامل الدم فهو دم استحاضة وليس حيضًا فتصلي وتصوم، والله تعالى أعلم.



مساوئ وعواقب الانفعال والغضب

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أفحسب الغاضب أن يتركه الانفعال والغضب سدى ؟!

الغضب عندما يتملك الفرد فإنه يؤثر على جوانب عديدة في شخصيته، فعلى المسلم كظم الغيظ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والعمل على عدم الاسترسال فيه، ودفع ما يدعو له فإن الاندفاع وراء الغضب يفقد الإنسان الرؤية في الحكم، والأناة في الحلم، ويسوقه لتهميش عقله، ووقتها يأتي بالأخطاء الجسام - كطلاق زوجته، أو ضربها، أو سبها، أو خسران صاحب، أو ظلم أحدهم، أو فقدان صحته وبصره وما شابه ذلك.. وسيجني الشرور كلها، ولكن إن كظم غيظه سيراجع نفسه، ويضبط مشاعره، ويهذب عواطفه، ويتخذ القرار الصحيح إن شاء الله، ولكن هنا عواقب ومساوئ ذاتية.

عواقب الغضب الذاتية:

يؤثر الغضب على جوانب عديدة في شخصيته، مثل الجانب الأخلاقي؛ وذلك من خلال أقواله، وأفعاله فيهم بشتم أو ضرب مَن أمامه، كما يؤثر على الجانب الصحي؛ فيصاب ببعض الأمراض مثل الضغط، أو السكري، أو القولون العصبي، أو رعشة في اليدين، أو أمراض القلب؛ لذا ذكر صاحب كتاب دع القلق وابدأ الحياة: أن الله يغفر لنا كل شيء، وجهازنا العصبي لا يغفر لنا شيئاً، أما عن الجانب النفسي؛ فسيشعر دائماً بالإحباط، وعدم الرضا عن نفسه، وعن من حوله، وفي الجانب الاجتماعي؛ تنشأ الخلافات في الأسرة بين أفرادها وقد تؤدي إلى الطلاق وتفكك الأسرة؛ وفي العمل تجد أن الشخص كثير الغضب في مشاحنات دائمة مع زملائه ورؤسائه، كما أنه يؤثر على علاقات الجيران ببعضهم البعض وتحدث فجوة اجتماعية، وتفكك بين الجيران، وليس هذا وفحسب بل كل ما يحيط بالفرد في الحياة الاجتماعية، ولو قدر لغاضب أن ينظر إلى صورته في المرآة حين غضبه لاستبشع نفسه ومنظره، فلو رأى تغير لونه وشدة رعدته، وارتجاف أطرافه، وتغير خلقته، وانقلاب سحنته، واحمرار وجهه، وجحوظ عينيه، وخروج حركاته عن الترتيب، وأنه يتصرف مثل المجانين لأنف من نفسه، واشمأز من هيئته، ومعلوم أن قبح الباطن أعظم من قبح الظاهر، فما أفرح الشيطان بشخص هذه حاله!

وإذا وصل الإنسان إلى نقطة عدم التحكم يصبح مدمراً، ويؤدي إلى مشاكل عديدة، فالغضب قد يؤدي إلى ارتفاع الأدرينالين الذي يتسبب في حدوث نوبة ذبحة صدرية عند المصابين بهذا المرض، كما أن التعرض المتكرر للضغوط النفسية يزيد من تشكل النوع الضار من الكولسترول، وهو أحد الأسباب الرئيسة لتصلب الشرايين. وقد رأينا كيف أن الغضب وغيره من المشاعر الحادة قد يحدث اضطراباً قاتلاً في القلب لدى بعض الأشخاص.

الغضب فورة وثورة واحتدام مشاعر انفعالية ساخطة تُشعل نيراناً كثيفة، وتثير زوبعة من دخان التوترات.. فربَّ كلمة منفعلة أحرقت خَضاراً، وخرَّبت عماراً، وكسرت عظماً يصعب بعد ذلك جبرُه.. والمشاكل في العادة تسجِّل حضورها القويّ في حالات الغضب والانفعال، خاصَّة إذا قوبلت الكلمةُ بالكلمة، واللكمة باللكمة، والشتيمة بأقذع منها، والبذاءة بأفحش منها، وتراشقت المحرَّمات بالمحرَّمات، وسالت الدماء.

عواقب الغضب الخارجية:

قال ابن رجب: (وينشأ من ذلك - أي: من الغَضَب - كثير من الأفعال المحرمة، كالقتل، والضرب، وأنواع الظلم والعُدوان، وكثير من الأقوال المحرَّمة، كالقذف



والسبّ والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر، كالأيمان التي لا ينهض بالتزامها شرعاً، وكطلاق الزوجة الذي يُعقب الندمَ. (جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنبلي ١/٣٦٩).

يؤثر الغضب على جوانب عديدة ذاتية وخارجية، مجملها الإضرار بالنفس والآخرين، فينطلق اللسان بالشتم، والسب، والفحش، وتنطلق اليد بالبطش بغير حساب، وكم ضاع من خير، وأجر، وفضل بسبب الغضب، وكم حلت من مصيبة ودمار وهلاك بسبب الغضب؛ وبسبب ساعة غضب قطعت الأرحام، ووقع الطلاق، وتهاجر الجيران، وتعادى الإخوان، وقامت حروب بين الدول.

وقد يصل الأمر إلى القتل بين الأشخاص، فضلاً عن الدول، وكم من حادث احتكاك سيارة بأخرى سالت بسببه دماء، وغرم أحدنا مبالغ أكثر من حقها بسبب غضبة في وقت ذروة ما قدر لها قدرها. وهذه قصة فيها عبرة: عن علقمة بن وائل أن أباه I حدَّثه قال: إني لقاعد مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل يقود آخر بنسعة (حبل مضفور) فقال: يا رسول الله، هذا قتل أخي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقتلته؟ قال: نعم قتلته. قال: كيف قتلته؟ قال: كنت أنا وهو نختبط (نضرب الشجر ليسقط ورقه من أجل العلف) من شجرة، فسبني فأغضبني فضربته بالفأس على قرنه (جانب الرأس) فقتلته... إلى آخر القصة. (صحيح مسلم: ١٣٠٧)

وكتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى عامل من عماله "ألا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه، وعاقبه على قدر ذنبه. (شهاب الدين محمد - المستطرف ٤١٥).

ومن عواقب الغضب السيئة على أصحاب الحل والعقد أنه يكون سبباً في فساد وظائفهم، ففي حديث أبي بكرة: لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان. (أخرجه البخاري (٧١٥٨)).

وقد ذكر ابن قدامة في المغني: لا خلاف بين أهل العلم فيما علمناه أن القاضي لا ينبغي له أن يقضي وهو غضبان، وقال رحمه الله: وفي معنى الغضب كل ما شغل فكره من الجوع المفرط، والعطش الشديد، والوجع المزعج، ومدافعة الأخبثين، وشدة النعاس، والهم، والغم، والحزن، والمرح، فهذه كلها تمنع الحاكم؛ لأنها تمنع حضور القلب، واستيفاء الفكر الذي يتوصل به إلى إصابة الحق في الغالب فهي في معنى الغضب المنصوص عليه فتجري مجراه. (ابن قدامة - المغني ١٠/٤٤).

وقد يحصل أدنى من هذا فيكسر ويجرح، فإذا هرب المغضوب عليه عاد الغاضب على نفسه، فربما مزق ثوبه، أو لطم خده، وكذلك قد يكسر الأواني ويحطم المتاع، وربما أغمي عليه، أو سقط صريعاً.

ومن أعظم الأمور السيئة التي تنتج عن الغضب، وتسبب الويلات الاجتماعية، وانفصام عرى الأسرة وتحطم كيانها، الطلاق. واسأل أكثر الذين طلقوا نساءهم كيف طلقوا ومتى؟ فسينبئونك: لقد كانت لحظة غضب!

فينتج عن ذلك تشريد الأولاد، والندم والخيبة، والحياة المريرة، وكله بسبب الغضب. ولو أنهم ذكروا الله ورجعوا إلى أنفسهم، وكظموا غيظهم واستعاذوا بالله من الشيطان ما وقع الذي وقع، ولكن مخالفة الهدي النبوي لا تنتج إلا الخسارة للنفس وأخرى تتعلق بالآخرين وحقوقهم، ولا أريد أن أطيل على القارئ هنا، ولكن نأخذ أمثلة من حياتنا رجل غضب غضباً شديداً فضرب أحدهم، أو طلق زوجته، أو ترك عمله، أو أقسم يميناً، أو دمر مقتنيات لكل هؤلاء حقوق أدبية، اعتذار، وتأنيب للضمير، وندم، ولهم أيضاً حقوق قانونية وشرعية.

فمن طلق فعليه النفقة، وتحمل مسؤولية الأولاد، وتحمل ما تؤول إليه حياتهم بمكوناتهم الشخصية الناقصة، فتؤدي إلى خلل مجتمعي، ويكفيه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

الخلاصة: إن أسوأ ما نجنيه من الغضب التعب والمرض، وربما موت الفجاءة، وتعزير وحقوق أدبية للغير، ولربما قانونية من دية، أو قصاص، أو نفقة لزوجة، أو تعويض لسوء ألم بأحد الأبناء حين كان يقلد أباه أو أمه فيما يسمى بالتربية بالمحاكاة، وكم من ولد يقلد والده في تقطيب حاجبيه، أو بنت تقلد أمها في حماقة أو رعونة، وبهذا نكون قد خُنَّا أمانة الله في أولادنا، وكما قال أحدهم:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه.

هذا وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.



التحذير من الهلع

إعداد الشيخ د. سعود بن إبراهيم الشريم
إمام المسجد الحرام

الحمد لله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.

أما بعد: فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله جل شأنه؛ إذ بها المغنم والنجاة من المغرم، ما خاب من تمسَّك بها ولا رشد من نأى عنها، هي زاد المسافر، وسلوان الحاضر، وثمرة المهتدي، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (مُحَمَّد: ١٧).

عباد الله: إن النسيم في هذه الحياة لا يهب عليلاً على الدوام، والماء الجاري لا يدوم صفوه، فكم من نسيم اعترته العواصف، وكم من صفو عكَّره الكدرُ، فإن صروف الحياة وتداول الأيام يعتريها خليط من المد والجزر والزَّيْن والشَّيْن واليُسْر والعُسْر، والفرح والتَّرح، فإن من عاش لم يَخْلُ من المصيبة، وقلما ينفكُ عن عجيبة، وما النفس إلا كدر وصفو، طعم له مُرّ وطعم حلو، لا سرمدية في هذه الحياة، لا سرمدية في هذه الحياة لشيء دون ضده، فتلك هي سُنَّةُ الله التي لن نجد لها تبديلا ولا تحويلا، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الْقَصَص: ٧١-٧٢)، إنه إذا ما اشتدت الخطوب على المجتمع المسلم وادلهمت عليه سهامُ الأعداء والخصوم الحاقدين والحاسدين، فإن من أوجب الواجبات عليه توحيد صفه، ونبذ فُرْقته، والتنازل عن اختلافات فرقائه التَّنَوُّعيَّة، وتأجيل اختلافاتهم التَّضَادُيَّة، ما دامت الخطوب أعظم والتربص بمجتمعه من خارجه أدهى وأَمَرّ، وإنه لا يثلم مثل ذلك المفهوم ويقطع سياجه أحدٌ من أفراد ذلكم المجتمع المعنيّ كشخص التَّاث بصفة الإرجاف، أو التخذيل المولِّدَيْن الهلعَ والإرباك، في أوساط المجتمع، فإن هذين الصنفين من الناس أخطر على لُحْمَة مجتمعهم من عدوه الخارجي؛ لأن التهويل وهو الإرجاف كَفيلٌ ببَث الهلع واليأس والإرهاب مما هو قادم أو مجهول، وقولوا مثلَ ذلكم عن التهوين الذي هو التخذيل؛ فإنه كَفيلٌ كذلكم ببث الكسل واللامبالاة وعدم الاكتراث بالخطر وسُبُل دفعه، أو سُبُل رفعه.

ومن هذا المنطلق -عباد الله- يجدر بنا أن نمر مرورَ الكرام على طبعٍ مذموم ينتاب الفردَ والمجتمعَ كلما صرَخ صارخ وَأنَّ مُتَوَجِّعٌ، وأرجف مرجفٌ، ذلكم الطبع المريك الذي يصيب الناس بالتوجس والإحباط وعدم الاستقرار؛ إنه طبع الهلع الموسف عبادَ الله، الهلع بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، الهلع القاتل الصامت، الذي يُنْشِئُ حالةً من التوتر والقلق والاضطراب تجاه مشكلة يظن الهلوعون بأنها تمثل تهديدا داهما للفرد أو المجموع في الأخلاق والأسرة والأمن والاقتصاد والسياسة، وهو؛ أي الهلع: طبع جِبلِّيٌّ من حيث قابلية المرء له في الأصل، إذا لم يحصِّن نفسه بما يضاده من السُّبُل التي تدفعه قبل وقوعه أو ترفعه بعد الوقوع، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩-٢١)، والهلع-عباد الله- له مصدر وناقل وَمُتَلَقٍّ، يمثلون بمجموعهم الأثافيَّ الثلاث لقِدْر الهزيمة النفسية والإحباط العملي وغياب الوعي للفرد والمجتمع، فمصدر الهلع فئامٌ لا يرجون الخير للمجتمعات ولا تحمل قلوبهم أيًّا من معاني السكينة والجدِّ والفأل وحُبِّ الاستقرار، فإن لِبَثِّهِمُ الهلعَ في نفوس العامة مَوْرًا أكثر من مَوْر خصومهم وأعدائهم، فكم تسبَّب بثُّهم الهلع في الهزائم، وكم أحبط من الهمم، وكم اغتال من الآمال، وأمثال هؤلاء لا يحمون وطنًا ولا ينشدون مصلحته، ولا يرفعون مضرته بعد وقوعها، فضلاً عن أن يدفعوها قبل أن تقع، بل إنهم يختصرون طريقَ العَدُوِّ ويتطوعون عنه بمعاول الهدم النفسي الذي لا طمأنينة معه ألبتة.

وأما ناقلوه: فهم دهماء الناس ولَهَازِمُهُمُ الذين هم كالأقماع لا تدري ما يُصَبُّ فيها ألَبَنٌ هو أم خمر؟ أَحُلْوٌ هو أم مُرٌّ؟ فإنما هم سمَّاعون حمَّالون مُرَوِّجُون ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ (النساء: ٨٣)، ومن هذا المنطلق فإن على ذوي الإعلام والمشاركين بوسائل التواصل مسئولية بالغة في إذكاء الهلع في المجتمعات أو في إخماده.

وأما المتلقون -يا رعاكم الله- فهم ضحايا ما مضى؛ إذ هم أسارى لمروِّجي الشائعات وحمَّالي القيل والقال، يحسبون كل صيحة عليهم، فَيَسْتَسْمِنُونَ ذا الورمَ ويظنون كل سوداء تمرةً، يَفْرَقُونَ من الهمس ويجزعون من اللَّمْز، ليس لديهم من الوعي والتمحيص وقراءة ما بين السطور والعصف الذهني والتصفية ما يميِّزون به بين المصلحة والمفسدة، ولا بين الصدق والكذب، ولا بين التهويل والتهوين، ولا بين الواقع والوهم، وأن التثبُّت في الشائعات ليس كالتسليم في تلقيها، وهذا شرّ ما في الإنسان، الذي قد عناه المصطفى-صلى الله عليه وسلم- بقوله: "شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ" (رواه أحمد وأبو داود)، والنبي-صلى الله عليه وسلم- إنما بُعث في أسوأ أحوال العرب في الدِّين والأسرة والأخلاق والأمن والسياسة، فكانت رسالته في السماحة لا الغضاضة، والتيسير لا التعسير والفأل لا القنوط والتبشير لا التنفير والعمل لا القعود، والوعي لا الغفلة.

ثم اعلموا-يا رعاكم الله- أن الهلع هلعان: أحدهما: هلع أمام وَهْم، والآخر هلع أمام حقيقة، فالهلع الذي أمام الوهم من شأنه أن يؤصِّل في النفوس فصل الأمور عن عللها وبناء المواقف سلبًا وإيجابًا على ما لا حقيقة وراءه؛ إذ حَجَبَتْ فيه سحبُ الأوهام شمسَ الحقيقة فيطفي حينئذ العزوف عن بذل ما يمكن معه اكتشاف وهمية هذا الخوف والهلع واستفزاز الشيطان واجلابه عليها بخيله ورَجِله، وتظهر بناءً على ذلكم مواقف لا علاقة لها بالهلع الوهمي ولا هي من بَابَتِه، فينشأ الغلط في ردة الفعل من الغلط في التقدير، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣).

وأما الهلع أمام الحقيقة فإنه إذا لم يُلْجَم بلجام الحكمة والأناة فإن من شأنه أن يولد إحباطًا نفسيًّا وشعورًا مبكرًا بالهزيمة؛ وَمِنْ ثَمَّ يُضفي القناعةَ باستحالة جدوى المدافعة والمزاحَمَة للتغلب على هذا الهلع الطارئ، وكما أن للهلع حقيقة ووهما فكذلك ثمت هلع منطقيّ وهلع مبالَغ فيه، وبما أننا نعيش زمنَ انتشار الوسائل المعرفية والتقنية التي لم تكن من قبل، فإن الهلع قد أصبح صناعة يَمتهن ترويجها المرجفون الذين يريدون تقويض الاستقرار

الفرديّ والأسريّ والمجتمعيّ، وهذا الصنيع قرَنَه الله بصنفين من الناس؛ هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فقد قال الله في كتابه: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) (الأحزاب: ٦٠-٦١).

إن الهلع إذا دبَّ في قوم جعلهم كالمتلفِّت في سيره كثيرًا يضيع بصره بين الالتفات وبين إبصاره طريقه ومواضع خطاه، فيسبب التفاته بطأ في السير وتعثرًا في الخطى فيتأخر وصوله دون ريب ولا ثمرة للهلع إلا مثل ذلكم بقطع النظر عما يُحدثه الهلع من قلق يُفقد الثقةَ بالنفس والمجتمع، وَعدْوَنا يُفرِّق ولا يجمع، وتقلُّب مزاج لا يمكن التعامل معه بصورة مطردة واتخاذ مواقف لا تتناسب مع سبب الهلع نفسه؛ بحيث تكون ردَّة الفعل أكبر من الهلع بمراحل كثيرة، ولا جرم فإن الهلع هو سرطان الفأل، وجُذام السكينة وحمَّى الطمأنينة، كما أن توهُّمه يُورث الهمَّ والوهنَ والهوانَ، والله جل وعلا يقول لمن لامَس الإيمانُ قلبَه: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٣٩).

اتقوا الله عباد الله واعلموا أن التحذير من الهلع والأمر بمدافعته أو رفعه لا يعني أبدا التقليل من شأنه ولا أنه وهم على الدوام، فمن الهلع ما يُوجب الحيطةَ والحذرَ وبذلَ أسباب الوقاية منه لئلا يجثم التخذيل مكانه ولا الاستسلام ولا القعود أو يصبح عنصرا سلبيًّا في المجتمع بأقصى درجات السلبية المبنية على احتقار الفردِ ما يأتيه من الخير، وعلى الاضطراب والجزع إثر كل بلية تحل به، وإن صغرت (إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ) (المعارج: ١٩-٢٢)... الآيات.

فالله-جل شأنه- قد استثنى من آفة الهلع في تلك الآية المُصلِّينَ والمتصفينَ بلوازمها في الآيات التي تليها، فإن مجتمعًا يداوم على الصلاة ويُنفق مما آتاه الله ويصدِّق باليوم الآخر ويشفق من عذاب ربه ويحفظ أعراض ذويه، ويؤدي أماناته ويقوم بشهاداته إن مجتمعا كهذا لن يحل الهلعُ به بعامَّة، ولن يكون من بَابَته في وِرْد ولا صَدَر، ولن يبدل الله أمنَه خوفًا فكيف يشقى قومٌ أكرمهم الله بهذا الكتاب فتمسكوا به؟ وكيف يقع في التيه من اهتدى بهديه واستنار بنوره؟ (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء: ٩).

ألا إن الحياة بلا أمل قنوط جاثم، والأمل بلا عمل تَمَنٍّ كاذب وديننا الحنيف إنما يدعو إلى الفألِ والأمل اللذين يستصحبان الجدَّ والعملَ وبذلَ الأسباب، والحذرَ كلَّ الحذر من مرجف يُذْكي بإرجافه الهلعَ ويوْصل قناعةً وهميةً بأن الزمانَ قد فَسَدَ برُمَّته، والمجتمعات قد هلكت وخراب دنياهم قابَ قوسين أو أدنى، وأنه لا خير بات يُرجَى ليصدق فيه قول الرسول-صلى الله عليه وسلم-: "إذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ" (رواه مسلم).

ألا فاتقوا الله-عباد الله- واعملوا وأمِّلوا واستبشروا بقول الباري-جل شأنه-: (طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ) (طه: ١-٢).

إذا المَرْءُ جَارَ عَلَى نَفْسِه

وَأَسْرَفَ في خَوْفِهِ والهَلَعْ

أَتَاحَ لأَنْفَاسِهِ حَسْرَةً

تُجَلْجِلُ في قَلْبِهِ فَانْخَلَعْ

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمينَ، واخذُل الشركَ والمشركينَ، اللهم انصُر دينَكَ وكتابَكَ وسنةَ نبيِّك وعبادَكَ المؤمنين.

اللهم فرِّج همَّ المهمومين من المُسلمين، ونفِّس كربَ المكروبين، واقضِ الدَّيْن عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضَى المُسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم انصر إخواننا المُستضعفين في دينهم في سائر الأوطان، يا حي يا قيوم.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(البقرة: ٢٠١).

سبحان ربِّنا رب العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الاستغفار

من هدي المصطفين الأخيار

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعدُ:

فقد أخبر الله سبحانه عن ثلة من أنبيائه ورسله أن طلب المغفرة من الله رجاؤهم ومطلبهم، فقال سبحانه عن الأبوين عليهما السلام قولهما: «رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» (الأعراف:٢٣). قال سبحانه عن نوح عليه السلام أنه قال: «رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ» (نوح:٢٨)، وقال سبحانه عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ» (إبراهيم:٤١)، وقال سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام أنه قال: «قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى» (القصص:١٦)، وقال: «رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ» (الأعراف:١٥١)، وقال سبحانه عن نبيه داود عليه السلام: «فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ» (ص:٢٤).

وقال سبحانه عن سليمان عليه السلام: «قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ» (ص:٣٥).

وأما رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

إعداد: عبده أحمد الأقرع

الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». (البخاري: ٦٣٠٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت التواب الرحيم". (صحيح أبي داود: ١٣٤٢).

وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس، فقال: «ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله تعالى فيها مائة مرة». (الصحيحة رقم ١٦٠٠، وصحيح الجامع رقم: ٥٥٣٤).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في بعض أدعية استفتاح الصلاة: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك،

والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك». (صحيح مسلم: ٧٧١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن». (متفق عليه). والمراد بقولها رضي الله عنها يتأول القرآن: أي يتأول قول الله عز وجل في سورة النصر: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (فقه الأدعية والأذكار: ٢/١٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره». (مسلم: ١/٣٥٠).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين السجدتين: «ربي اغفر لي، ربي اغفر لي». (صحيح ابن ماجه: ٧٣١).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته قال: «أستغفر الله، أستغفر الله». (مسلم: ٥٩١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به مني أنت المقدِّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت». (مسلم: ٧٧١).

سبحان الله! الناظر في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم يجد أن جلّ أوقاته صلى الله عليه وسلم الاستغفار وسؤال الله تعالى أن يغفر له، وهو صلى الله عليه وسلم المعصوم بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال الله تعالى له: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا» (الفتح:٢)، فكيف بنا إخواني، وقد بلغت الذنوب عنان السماء: «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» (الإسراء:١٧)؟ ولما قال الصدِّيق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي . قال صلى الله عليه وسلم: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفورُ الرحيم». (متفق عليه).

وقد مدح الله تعالى أقوامًا، فقال تعالى عن أُولي الألباب أنهم قالوا: «رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» (آل عمران: ١٩٣)، وقال تعالى عن فريق من عباده: «إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» (المؤمنون:١٠٩)، وقال تعالى عن المتقين: «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الذاريات: ١٨)، والاستغفار يكون عقيب المعصية، كما قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» (آل عمران:١٣٥) أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله من قريب، وقد قال الله تعالى عن أصحاب الشمال: «وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ» (الواقعة: ٤٦)، ويكون أيضًا عقيب الطاعة، قال الله تعالى: «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (البقرة:١٩٩)، وقال الله تعالى: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (المزمل:٢٠).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا، وقال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام». قال الوليد- أحد رواة الحديث-: فقلتُ للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله. (مسلم: ٥٩١).

كلُّ ذلك يدل على أهمية الاستغفار، وعظيم فضله وحاجة الناس إليه، لما له من الفوائد الدنيوية والأخروية، فمن ذلك: أنه

سببٌ لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، قال الله تعالى: « وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (النساء: ١١٠)، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم». (مسلم: ٢٥٧٧).

ويقول تعالى: «يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرتُ لك ولا أبالي». (صحيح الترمذي: ٣٥٤٠).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» (مسلم: ١٨٨٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف». (صحيح الترغيب: ١٦٢٢).

ومنها: أنه سبب لنزول المطر، ونبات الزرع، والإمداد بالأموال والعيال، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: « فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا » (نوح: ١٠-١٢).

ومنها: المتاع الحسن: قال الله تعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: « وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ » (هود: ٣)، ومنها: أنه سبب لحصول القوة في البدن، قال تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: « وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ » (هود: ٥٢)، ومنها: أنها دوحة الأمان، قال الله تعالى: « وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (الأنفال: ٣٣)، ومنها: جلاء القلب ونقائه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صَقَلَ قلبه». (أخرجه أحمد: ٢/٢٩٧).

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «طُوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا». (صحيح الجامع: ٣٩٣٠). وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار». (صحيح الجامع: ٥٩٥٥). ومنها: رفع الدرجات في الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا؟ فيقالُ: باستغفار ولدك لك». (صحيح الجامع: ١٦١٧).

ومنها: امتثال أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: « وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا » (النساء: ٦٩). فهل بعد هذا الفضل العظيم يغفل الناس عن الاستغفار؟

فأكثروا- إخواني من الاستغفار فقد قال لُقمان لابنه: «يا بني، عَوِّد لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يُرد فيها سائلاً». فأكثروا- إخواني من الاستغفار تتنزل عليكم البركات والرحمات، قال الله تعالى: « لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (النمل: ٤٦). واستغفروا للمؤمنين والمؤمنات فهذا من خُلق النبيين والمرسلين وحملة العرش المقربين، قال الله تعالى: « ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ » (غافر: ٧)، وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتبَ الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة». (صحيح الجامع: ٥٩٠٢).

وقد أثنى الله تعالى على المستغفرين للمؤمنين فقال سبحانه: « وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الحشر: ١٠).

رب اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ميراث النساء بين الحرمان والتفضيل في العطاء

إعداد: المستشار/أحمد السيد علي إبراهيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

أما بعد: فقد قسم الله المواريث بين عباده بنفسه، ولم يتركها لأحد من البشر أن يقسمها من عند نفسه، فجاء نظام المواريث على أكمل وجه، وأعدله، وأمر الله عباده بطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، فمن عباده من أطاعه، ومنهم من أبى، ومن هؤلاء الذين يظلمون المرأة، فيمنعونها من ميراثها، أو يفضلونها على باقي الورثة، وقد عمَّ هذا البلاء وطمَّ في طول البلاد وعرضها، مما يستلزم بيان الحكم الشرعي فيه، وهو ما سنتعرض له في هذه المقالة بالتفصيل الآتي:

أولا: سبب الكتابة في هذا الموضوع:

هو أن هذه الظاهرة عمت وطمت، ولم يسلم منها بلد من بلدان المسلمين، فضلاً عن كل محافظات مصر، ومما يؤيد أنها أصبحت ظاهرة الإحصائية التي أعدتها هيئة (كير) الدولية بالتعاون مع مركز قضايا المرأة المصرية، وجمعية الطفولة والتنمية بأسيوط، والجمعية المصرية للتنمية الإنسانية بسوهاج، و٦ منظمات أخرى منها بيت العائلة. وانتهت إلى أن: «٨٤٪ من الرجال بمحافظة أسيوط يرفضن حصول المرأة على حقها في الميراث في الأرض، بينما لا يؤيد ٨٨٪ من رجال سوهاج أن يؤول ميراث الأرض إلى النساء. كما أكدت الإحصائية أن ٧٣٪ من النساء لا يستطعن مطلقًا التصرف في ميراثهن في أسيوط، بينما يظل ٦٠٪ من سيدات سوهاج غير قادرات على التصرف في حقوقهن لأسباب عدة منها الخوف من رد فعل المجتمع وضعف الوعي بالإجراءات القانونية وعدم شعورهن بالأمان مع الزوج حيث يصبح الأخ هو الملجأ الوحيد للحفاظ على ممتلكاتها من التبديد وذهابها إلى عائلة أخرى وهى أعراف موجودة منذ مئات السنين بمحافظات الصعيد».

كما قال مدير مشروع حق المرأة في الميراث: «إن ظاهرة حرمان المرأة من الميراث أكثر انتشارًا في محافظات الصعيد تحديدًا أسيوط وسوهاج، ثم الوجه البحري، وتحديدًا في محافظات البحيرة والمنوفية، وفى محافظات الصعيد تحديدا، تلقينا كهيئة (١٢٨٦) شكوى من سيدات تعرضن للحرمان من الميراث كلها تتضمن شكاوي من الأخ والخال».

وقد أكدت آخر دراسة أعدتها وزارة العدل المصرية والمركز القومي للبحوث الاجتماعية لعام ٢٠١٥ أن: «٩٥٪ من السيدات محرومات من الميراث في صعيد مصر وأن هناك من ٨ إلى ١٤ ألف جريمة جنائية كجرائم قتل وثأر تحدث سنويا بسبب الميراث، ورصدت الدراسة أن هناك زيادة عدد قضايا النزاع على الميراث بين الأشقاء بشكل ملحوظ، فقد أشارت الدراسة إلى أن هناك ١٤٤ ألف قضية نزاع على ميراث يتم نظرها أمام القضاء سنويا، بالإضافة إلى ٢٧٥٠ قضية حجر لعدم الأهلية للتصرف في الممتلكات على أحد الوالدين أو كليهما، يقيمها أبناؤهم أو الأشقاء ضد بعضهم البعض. وأكدت الدراسة أن هناك ٨ آلاف جريمة قتل تقريبا ترتكب سنويا بين أفراد الأسرة الواحدة بسبب الميراث، وهو رقم مفجع يتزايد سنويا، فقد سجل عام ٢٠٠٧ نحو ٧٥٠٠ جريمة قتل بسبب الميراث، و١٢١ ألف قضية نزاع على ميراث، و٢٥٠٠ قضية حجر على أحد الأبوين أو الأشقاء، وفي عام ٢٠٠٦ وقعت نحو ٦ آلاف جريمة قتل بسبب النزاع على الميراث، و١١٩ ألف قضية نزاع على الميراث، و٢٥٠٠ قضية حجر على أحد الأبوين أو الأشقاء».

وقالت الدكتورة إيمان بيبرس، رئيس مجلس إدارة جمعية نهوض وتنمية المرأة: إن القانون المصري لا يتضمن أي نوع من أنواع العقاب لمن يستولى على ميراث النساء، وفيما يخص ما حدث في تونس فهذا يصعب تطبيقه في مصر لأننا بلد سلفي في الأساس، لكن كل ما نطالب به هو تطبيق الشرع. وأضافت لـ «المصري اليوم»: «يصل نسبة المحرومات من الميراث في الصعيد لأكثر من ٧٢٪ وعلى مستوى الجمهورية من ٦٨٪ إلى ٧٠٪، موضحة أن هناك عدم دقة في النسبة العامة بشكل كبير؛ نظرًا



لأن هناك محرومات من الإرث لعدم وجودهم في أوراق الميراث ففي الوجه البحري من ٤٠٪ إلى ٥٠٪ من المحرومات من الميراث لا يوجد اسمها في إعلام الوراثة و٣٠٪ اسمها في إعلام الوراثة لكن لا تمتلك حيازة أراضي أو ممتلكات.».

ثانيا: تعريف الإرث لغة وشرعا:

تعريفه لغة: الأصل، والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول، والبقية من كل شيء، ويطلق الإرث ويراد منه انتقال الشيء من قوم إلى قوم آخرين، ويطلق ويراد منه الموروث.

تعريفه شرعاً: جاء في الفتاوى الهندية: «هو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة، وهو حق قابل للتجزؤ ثبت لمستحقه بعد موت من كان له ذلك بقرابة بينهما أو نحوه» ا.هـ

ثالثا: النساء المستحقات للإرث:

أ- أصحاب الفروض: فالوارثات من النساء هن:

١، ٢- البنت الصلبية، وبنت الابن: مهما نزل أبوها بشرط ألا يتوسط بينها وبين الميت أنثى، ٣- الأم:

٤- الجدة الصحيحة:

٥، ٦- الأخت الشقيقة، والأخت لأب:

٧- الأخت لأم:

ب- أصحاب العصبات النسبية: وينقسمن إلى قسمين:

الأول: العصبة بالغير: وهي كل أنثى فرضها النصف عند الإنفراد، أو الثلثان عند التعدد، تصير عصبة بأخيها، ما عدا بنت الابن فتصير عصبة بابن الابن الذي في درجتها (أخوها، أو ابن عمها) أو الأنزل منها في الدرجة إن احتاجت إليه، فيأخذوا التركة كلها عند عدم وجود أصحاب فروض، أو الباقي بعد أصحاب الفروض عند وجودهم، يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، وهؤلاء أربعة أنواع:

١- البنت الصلبية مع الابن الصلبي.

٢- بنت الابن مع ابن الابن الذي في درجتها، أو الأنزل منها في الدرجة إن احتاجت إليه.

٣- الأخت الشقيقة مع الأخ الشقيق.

٤- الأخت لأب مع الأخ لأب.

الثاني: العصبة مع الغير: فهن الأخوات (الشقيقات، أو لأب) مع البنات، وحكمهن أنهن يأخذن الباقي بعد أخذ أصحاب الفروض فروضهم، لقاعدة: «اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة».

الثالث - ذوي الأرحام: وهن كل قريبة للميت، ليست ذات فرض ولا عصبة، أي: ليست من النساء السابق ذكرهن، وهن: من ينتمين إلى فروع الميت أو أصوله، مثل: بنات البنات، والجدات غير الوارثات، والخالات، والعمات، ومن أدلى بهؤلاء، وإنما يرثن عند عدم وجود وارث بالفرض ولا بالتعصيب.

رابعا: حالات اجتماع الرجال والنساء في الإرث:

١- حالات التفضيل:

فضل الله الرجال على النساء في الإرث، وذلك في أربعة مواضع فقط- السابق ذكرها عند الحديث عن العصبة بالغير- فيحصل الذكر على ضعف نصيب الأنثى.

الحكمة من التفضيل: ومن الحكمة التي ذكرها العلماء في كون نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل في بعض الحالات: أن المرأة ليست مكلفة بالنفقة على نفسها أو بيتها أو أولادها، ولا بدفع المهر عند زواجها، وإنما المكلف بذلك الرجل، كما أن الرجل تعتريه النوائب في الضيافة والدية والصلح على الأموال ونحو ذلك. والله أعلم.

٢- مساواة النساء للرجال في الإرث:

وقد تتساوى المرأة مع الرجل في الإرث، فتحصل على نفس نصيبه، لا تزيد عليه ولا تنقص عنه: وذلك كالأم مع الأب في حال وجود الابن، فللأم السدس، وللأب السدس، والباقي للابن، وكالأخ والأخت لأم، فإنهما يرثان بالتساوي.

٣- إرث النساء أكثر من الرجال:

وقد ترث المرأة أكثر من الرجل: كالزوج مع ابنتيه، فله الربع، ولهما الثلثان، أي لكل واحدة منهما الثلث، وكالزوج مع ابنته الوحيدة، فله الربع، ولها النصف، ويرد الربع الباقي لها أيضا.

٤- إرث النساء وحرمان الرجال:

وقد ترث المرأة ولا يرث الرجل: فمن ماتت وتركت بنتا وأختا شقيقة، وأخا لأب، فللبنت النصف، وللأخت الشقيقة النصف الباقي تعصيبا مع البنت، ولا شيء للأخ لأب لحجبه بالأخت الشقيقة لكونها صارت في قوة الأخ الشقيق بالتعصيب مع الغير.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



من نور كتاب الله

(من صفات أهل الإيمان)

اتباعهم للحق

قال تعالى: « ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ » (محمد: ٣).

نصائح تربوية

الأبناء نعمة، وشكرها يكون بحسن الرعاية لها، وكمال الإشراف عليها من جانب الأب والأم؛ ليتم التعاون بين المدرسة والبيت على التربية القويمة والتوجيه السليم والمتابعة الدقيقة.



أحاديث باطلة لها آثار سيئة



(إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإِرْسَالُكَ بي إلى النار أيسر عليَّ مما ألقى- وإنه ليعلم ما فيها-؛ من شدة العذاب). حديث منكر؛ أخرجه الحاكم (٥٧٧/٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩١). (السلسلة الضعيفة للألباني).

من معاني الأحاديث

(خدش) فيه «من سأل وهو غني جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا في وجهه». خدش الجلد: قشره بعود أو نحوه. خدشه يخدشه خدشًا. والخدوش جمعه؛ لأنه سمي به الأثر، وإن كان مصدرًا.

(النهاية لابن الأثير)

من حكمة الشعر

قال نابغة بني شيبان:

إنَّ من يركب الفواحش سرًا... حين يخلو بسرِّه غير خالِ

كيف يخلو وعنده كاتباه... شاهداه وربّه ذو الجلال

(العقد الفريد)



إعداد : علاء خضر

من أقوال السلف

قال الإمام الشافعي: «أجمع المسلمون على أنَّ من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد». (إعلام الموقعين ١/٧).

من هدي رسول الله ﷺ

عاقبة السنة الحسنة والسنة السيئة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا». (صحيح مسلم).

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربًا ما كربت مثله، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم» (صحيح مسلم).

حكم ومواعظ

عن علي رضي الله عنه قال: «أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال. (أي: تُقرضه من مالك)». (كنز العمال)

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أدري ما قدْر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر». (سنن ابن ماجه).

حجاب المرأة المسلمة (٨)

الحلقة (٩٨)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: ما زال الحديث متصلا عن آيات الحجاب ووصلنا في الحلقة السابقة إلى الآية الخامسة من آيات الحجاب، وهي قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الأحزاب: ٥٩).

وذكرنا أقوال بعض قدامى المفسرين للآية، وتوقفنا مع أسانيد الطبري للآية من الناحية الحديثية، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

مسألة التفرقة بين الحرة والأمة في الزي (والتي أشار إليها الكثير من المفسرين) ذكرنا اعتراض ابن حزم على هذه التفرقة، وأنه لا فرق بين الحرة والأمة في الخلقة (فالفتنة بالنساء واحدة بصرف النظر عن كونها حرة أو أمة) وأنه لم يرد في ذلك شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك قول ابن تيمية، أنه إذا كان في ظهور الأمة والنظر إليها فتنة وجب المنع من ذلك.

أورد الشيخ الألباني رواية ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر ابن أبي سبرة عن أبي صخر عن ابن كعب القرظي، قال: كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهن، فإذا قيل له؟ قال: كنت أحسبها أمة فأمرهن الله أن يخالفن زي الإماء ويدنين عليهن من جلابيبهن. وقال الألباني: لا يصح، ففي سنده ابن أبي سبرة، وهو ضعيف جدا، ومحمد بن عمر (الواقدي) وهو متروك. ثم قال: وفي معنى هذه الرواية روايات أخرى أوردها السيوطي في (الدر المنثور) وبعضها عند ابن جرير وغيره، وكلها مرسلة لا تصح، لأن منتهاها إلى ابن مالك وأبي صالح والكلبي ومعاوية بن قرة والحسن البصري، ولم يأت شيء منها مسندًا فلا يُحتج بها، لاسيما وظاهرها مما لا تقبله الشريعة المطهرة، ولا العقول النيرة، لأنها توهم أن الله تعالى أقر إماء المسلمين - وفيهن مسلمات قطعًا - على حالهن من ترك التستر ولم يأمرهن بالجلباب ليدفعن به إيذاء المنافقين لهن.

ومن العجائب أن يغتر بعض المفسرين بهذه الروايات الضعيفة فيذهبوا بسببها إلى تقييد قوله تعالى (ونساء المؤمنين) بالحرائر دون الإماء، وبنوا على ذلك أنه لا يجب على الأمة ما يجب على الحرة من ستر الرأس والشعر، بل بالغ بعض المذاهب فذكر أن عورتها مثل عورة الرجل: من السرة إلى الركبة، وقالوا: فيجوز للأجنبي النظر إلى شعر الأمة وذراعها وساقها وصدرها وثدييها. وهذا مع أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة مخالف لعموم قوله تعالى: (ونساء المؤمنين)، ثم نقل قول أبي حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط): والظاهر أن قوله تعالى (ونساء المؤمنين) يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر، لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح (انظر جلباب المرأة المسلمة للألباني، ص ٩٠-٩٦).

ثانيا: أدلة السنة:

الحديث الأول: حديث أمنا عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على

وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه».

تخريج الحديث: أخرجه أحمد في (المسند) ح ٢٤٠٢١ قال: حدثنا هشيم. وأبو داوود ح ١٨٣٣، قال حدثنا أحمد بن حنبل: قال حدثنا هشيم. وابن ماجه ح ٢٩٣٥، قال حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل (ح) وحدثنا علي بن محمد قال حدثنا عبدالله بن إدريس. وابن خزيمة ح ٢٦٩١ قال: حدثناه عبدالله بن سعيد الأشج قال: حدثنا ابن إدريس (ح) وحدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا جرير (ح) وحدثنا محمد بن هشام، قال حدثنا هشيم. الأربعة: هشيم، محمد بن فضيل، عبدالله بن إدريس، جرير، كلهم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها والحديث فيه: يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم: ضعفه الكثير من أهل العلم، وكبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعيًا (انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ت ٦٣٠، وتقريب التهذيب ت ٧٧١٧) فالحديث ضعيف ضعفه الألباني في (إرواء الغليل) ح ١٠٢٤، وكذلك الأرناؤوط في مسند أحمد ح ٢٤٠٢١.

لكن الحديث له شواهد: عن فاطمة بنت المنذر، قالت: «كنا نخمِّر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر». (موطأ مالك ح ١٠٥٠)، وبنحوه رواه الحاكم في (المستدرك) ح ١٦٦٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (إرواء الغليل) ح ١٠٢٣.

الاستدلال من الحديث كما في (المغني) لابن قدامة: «والمرأة إحرامها في وجهها، فإن احتاجت سدلت على وجهها، وجملة ذلك أن المرأة يحرم عليها تغطية وجهها في إحرامها، كما يحرم على الرجل تغطية رأسه، لا نعلم في هذا خلافًا، إلا ما روي عن أسماء أنها كانت تغطي وجهها وهي محرمة، ويحتمل أنها كانت تغطيه بالسدل عند الحاجة، فلا يكون اختلافًا، قال ابن المنذر وكراهية البرقع ثابتة عن سعد وابن عمرو وابن عباس وعائشة ولا نعلم أحدًا خالف فيه... ولأن بالمرأة حاجة إلى ستر وجهها، فلم يحرم عليها ستره على الإطلاق كالعورة»، (انظر المغني ٣٠١/٣-٣٠٣).

لكن السؤال هل يستفاد من الحديث وجوب تغطية الوجه في غير الإحرام أم مشروعية ستره؟

يقول الشيخ ابن عثيمين عن الحديث: «دليل على وجوب ستر الوجه، لأن المشروع في الإحرام كشفه، فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ لوجب بقاؤه مكشوفا حتى للركبان، وبيان ذلك أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم، والواجب لا يعارضه إلا ما هو واجب، فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب، ما ساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام (انظر ثلاث رسائل في الحجاب صـ ٣٤-٣٥).

لكن يشكل على القول بوجوب تغطية الوجه حال الإحرام، حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «المحرمة تلبس من الثياب ما شاءت إلا ثوبًا مسَّه ورس أو زعفران ولا تتبرقع ولا تتلثم وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت» (أخرجه البيهقي في الكبرى ح ٩٠٥٠، وقال الألباني في إرواء الغليل سنده صحيح ٢١٢/٤).

يقول الشوكاني: «وأما تغطية وجه المرأة فلما روي أن إحرام المرأة في وجهها، ولكنه لم يثبت ذلك من وجه يصلح للاحتجاج. ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها في السدل إذا حاذاهم الركبان، فقال: وليس فيه (الحديث) ما يدل على أن الكشف لوجوههن كان لأجل الإحرام، بل كن يكشفن وجوههن عند عدم وجود من يجب سترها منه ويسترنها عند وجود من يجب سترها منه. (انظر السيل الجرار صـ ٣١٦).

وقد نقل ابن بطال كراهية لبس النقاب

للمحرمة وليس التحريم - فقال: «وثبت كراهية النقاب عن سعد وابن عباس وابن عمر وعائشة ولا نعلم أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رخص فيه» (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢١٨/٤)، بل نقل الكراهة للمرأة أن ترتدي النقاب في إحرامها - ابن عبد البر- فقال: وعلى كراهة النقاب للمرأة جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من فقهاء الأمصار، لم يختلفوا في كراهة التبرقع والنقاب للمرأة المحرمة. (انظر الاستذكار ١/٤، التمهيد ١٠٧/١٥).

ومنع الجمهور أن ترتدي المرأة النقاب وأجازه الحنفية وهو رواية عند الشافعية والمالكية، ولم يختلفوا في منعها من ستر وجهها وكفيها بما سوى النقاب والقفازين (انظر فتح الباري ٥٤/٤).

والحديث ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما هو من إقراره، لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بسدلهن، فقد ورد في بعض الروايات: ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسكوت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى إقراره، لكن هل الإقرار يستفاد منه الوجوب أم الجواز؟

يقول الشاطبي: «وأما الإقرار فحمله على أن لا حرج في الفعل الذي رآه عليه الصلاة والسلام - فأقره أو سمع به فأقره، وأن ما لا حرج فيه جنس لأنواع الواجب، والمندوب، والمباح» (انظر الموافقات ٤٣٤/٤-٤٣٥).

يقول الجويني: «اتفق الأصوليون على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقرَّ إنسانًا على فعل، فتقريره إياه يدل على أنه غير محظور، ولو كان محظورًا لأنكره ثم لا يمكن بعد ذلك قطع القول بكونه مباحًا أو واجبًا أو مندوبًا، بل تجتمع فيه هذه الاحتمالات، ولا يتبين من التقرير المطلق إلا نفي الحظر» (التلخيص في أصول الفقه ٢٤٦/٢).

وذكر جماعة من الأصوليين أن دلالة الإقرار هي الإباحة، يقول الزركشي: «التقرير: وصورته أن يسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار قول قيل، أو فعْل فُعل بين يديه أو في عصره وعلم به، فذلك منزَل منزلة فعله في كونه مباحًا». (البحر المحيط في أصول الفقه ٥٤/٦).

ويقول المرداوي: «إذا سكت صلى الله عليه وسلم عن إنكار فعل أو قول بحضرته أو زمنه عالمًا به دل على جوازه». (انظر التحبير شرح التحرير١٤٩١/٣).

الحديث الثاني:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «.. ولا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين».. (أخرجه البخاري ح ١٨٣٨ ضمن حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما).

وقال بعض أهل العلم: إن هذا موقوف على ابن عمر رضي الله عنهما، لكن البخاري أشار إلى صحة هذه الزيادة، وذكر اتفاق جماعة من الثقات عليها، خلافا للحافظ في الفتح، فرجح أنها موقوفة على ابن عمر. قال الألباني: «والأرجح عندي الأول - رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم - وهو الذي يُشعر به قول الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي رواية لأحمد من طريق ابن إسحاق عن نافع بلفظ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا على المنبر. (انظر إرواء الغليل ح ١٠١٢).

الاستدلال من الحديث: بمفهوم المخالفة يدل الحديث على أن النقاب والقفاز كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن.

لكن السؤال هل الحديث يدل - بمفهوم المخالفة - على وجوب النقاب لغير المحرمة، أم يستفاد منه المشروعية؟

هذا ما سنبينه في العدد القادم، إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

الحالات التي تُكرَه فيها الصلاة

الحلقة الثانية

إعداد / د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

بدأنا في الحلقة السابقة بالحديث عن الحالات التي تُكره فيها الصلاة، فتكلمنا عن كراهة أداء الصلاة بحضرة الطعام، ونكمل الحديث عن هذه الحالات.

٢- الصلاة عند مدافعة الأخبثين:

والأخبثان هنا هما البول والغائط. ويقال لمن يدافع البول حاقناً، ولمن يدافع الغائط أو البراز حاقباً، ولمن يدافع الريح حازقاً.

والمدافعة: مأخوذة من دفع الشيء، والمراد به كفه. وهناك (دفع) و(رفع)، والعلماء يقولون في القاعدة المشهورة: (الدفع أسهل من الرفع). وسأل بعضهم: ما الفرق بين الدفع والرفع؟ فقالوا: الدفع لما لا يقع، والرفع لما وقع. فأنت ترفع شيئاً قد وقع وحصل، كأن ترفع شيئاً على الأرض، فإنه بعد سقوطه على الأرض يرفع. وأما بالنسبة للدفع فإنه يكون لشيء لا يراد وقوعه. (دروس شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٦٣/٤).

فيكره لمن كان حاله كذلك أن يصلي فينبغي له أن يقضي حاجته أولاً، ثم بعد ذلك يؤدي الصلاة. قال أبو عمر: "أجمع العلماء على أنه لا ينبغي لأحد أن يصلي وهو حاقن؛ إذا كان حقنه ذلك يشغله عن إقامة شيء من فروض صلاته وإن قل". (الاستذكار- ابن عبد البر).

وذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أن صلاة الحاقن وهو المدافع للبول، وصلاة الحاقب وهو المدافع للغائط مكروهة. أي: كراهة تنزيه. (البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ٣٥/٢، بداية المجتهد لابن رشد ١٤٥/١، المجموع للنووي ١٠٥/٤، الشرح الكبير لعبدالرحمن بن قدامة ٦٠٣/١).

وذهب بعض الحنفية إلى أنها مكروهة تحريمًا؛ قال في الخزائن: سواء كان بعد شروعه أو قبله، فإن شغله قطعها إن لم يخف فوت الوقت، وإن أتمها أثم وما ذكره من الإثم صرح به في شرح المنية وقال لأدائها مع الكراهة التحريمية. (انظر حاشية رد المحتار لابن عابدين ٦٤١/١).

وذهب ابن حزم إلى حرمة الصلاة. فقال ولا تجزئ الصلاة... وهو يدافع البول أو الغائط، وفرض عليه أن يبدأ بالأكل والبول والغائط. (المحلى ٤٦/٤).

واستدل الجميع بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان". (أخرجه مسلم).

وفي الباب أحاديث أخرى منها عن عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول «إذا حضرت الصلاة وحضر الغائط فابدؤوا بالغائط» رواه ابن خُزَيمة وابن ماجه، قال الأعظمي: إسناده صحيح.

ورواه أحمد بلفظ «إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء وأُقيمت الصلاة فلْيذهب إلى الخلاء». قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

وروى ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال «لا يقوم أحد من المسلمين وهو حاقن حتى يتخفف» رواه ابن ماجه وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «لا يقوم أحدكم إلى الصلاة وبه أذى». رواه ابن ماجه قال الألباني (صحيح) انظر صحيح الجامع حديث رقم: ٧٧٦٩.

فالقائلون بالكراهة حملوا النهي في الأحاديث

على الكراهة. وأن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة «لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان» لا يعني نفي الصلاة أو نفي صحتها بل يعني: لا تُصلوا؛ فـ(لا) هنا ناهية وليست نافية، بدلالة الأحاديث الأخرى الواردة. وأخذ بظاهر الحديث أصحاب الرأي الثاني فحملوه على الفساد. أما المالكية فقد ذهبوا إلى أن الحقن الشديد ناقض للوضوء، فتكون صلاته باطلة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٨٥/٢).

ومدافعة الأخبثين تكون على صور:

الصورة الأولى: أن تكون إلى درجة لا يعي الإنسان معها الصلاة، بأن تشتد عليه، وتبلغ به إلى مقام تذهله عن صلاته، وكذلك عن خشوعه وموقفه بين يدي ربه. الصورة الثانية: أن تكون في بدايتها، بحيث يطيق الصبر إلى انتهاء الصلاة، فيرجع إلى صلاته تارة ويغيب عن صلاته تارة. (دروس شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٤/٦٣).

أما في الصورة الأولى فإن وصلت به إلى حد لا يستطيع معه أن يدرك صلاته ووصلت المدافعة إلى درجة لا يعي معها صلاته فإن صلاته غير صحيحة، ويُلزم بإعادة الصلاة في قول طائفة من العلماء، وهو مذهب الظاهرية، وكذلك قال به الإمام مالك، وكذلك قال به بعض السلف رحمة الله على الجميع.

وتأوله بعض أصحاب مالك على أنه إن شغله حتى إنه لا يدري كيف صلى فهو الذي يعيد قبل وبعد، وأما إن شغله شغلاً خفيفًا لم يمنعه من إقامة حدودها وصلى ضامًا بين وركيه فهو الذي يعيد في الوقت؛ قال القاضي عياض: "وكلهم مجمعون أن من بلغ به ما لا يعقل به صلاته ولا يضبط حدودها أنه لا تجزئه، ولا يحل له الدخول كذلك في الصلاة، وأنه يقطع الصلاة إن أصابه ذلك فيها". (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٤٩٥/٢).

قال ابن دقيق العيد: "وهذا الذي قدمناه من التأويل وكلام القاضي عياض: فيه بعض إجمال، والتحقيق: أن مدافعة الأخبثين إما أن تؤدي إلى الإخلال بركن أو شرط أو لا؛ فإن أدَّى إلى ذلك امتنع دخول الصلاة معه وإن دخل واختل الركن أو الشرط: فسدت بذلك الاختلال وإن لم يؤد إلى ذلك فالمشهور فيه الكراهة". (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٧٩/١).

وأما ما ذكر من التأويل أنه لا يدري كيف صلى أو ما قال القاضي عياض أن من بلغ به ما لا يعقل صلاته فإن أريد بذلك الشك في شيء من الأركان فحكمه حكم من شك في ذلك بغير هذا السبب، وهو البناء على اليقين، وقول القاضي: "ولا يضبط حدودها" أن أريد به أنه لا يفعلها كما وجب عليه فهو ما ذكرناه مبينًا، وإن أريد به أنه لا يستحضرها فإن أوقع ذلك شكًا في فعلها فحكمه حكم الشاك في الإتيان بالركن أو الإخلال بالشرط من غير هذه الجهة، وإن أريد به غير ذلك من ذهاب الخشوع فقد بيناه أيضًا وهو الذي ذكرناه إنما هو بالنسبة إلى إعادة الصلاة وأما بالنسبة إلى جواز الدخول فيها فقد يقال: إنه لا يجوز له أن يدخل في صلاة لا يتمكن فيها من تذكر إقامة أركانها وشرائطها. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٧٩/١ بتصرف).

والقول الثاني: صلاته مكروهة، وتقع مجزئة؛ لأنه صلى وهو متوضئ وغير محدث، وإنما كانت مدافعة الأخبثين متعلقة بالخشوع، وفوات الخشوع لا يؤثر في ذات الصلاة، وإنما يؤثر في كمالها وحصول الأجر فيها، وهذا مذهب الجمهور. وهذا المذهب يقول: لا يستلزم فوات الخشوع بطلان الصلاة، فغاية ما هو فيه-أي: الذي يدافع الأخبثين- أنه لا يعي صلاته، بمعنى أنه لا يخشع فيها الخشوع المعتبر. وبناءً على ذلك قالوا: إن صلاته صحيحة. (دروس شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٤/٦٣).

وأما الصورة الثانية وهي إذا كانت المدافعة يسيرة، بأن تغلبه تارة ويرجع تارة إلى الصلاة، فإن الظاهرية يقولون ببطلان الصلاة، وبعض أهل الحديث يوافقهم، والجمهور على صحة الصلاة، وقالوا: لكن يُكره له أن يصلي على هذه الحالة.

واستدل الجمهور على صحة الصلاة ما ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لأم المؤمنين عائشة: (أميطي عنا قرامك هذا؛ فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي)، فقوله: (أميطي) أي: أزيلي. (قرامك) القرام: هو الستارة، وكانت فيها صور، فقال: (أميطي عنا قرامك هذا؛

فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي)، ولم يبطل صلاته ولم يقطعها. فدل على أنه إذا فاء تارة وغلبه فذلك لا يؤثر في الصلاة، وفي الصحيح أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خميصة لها أعلام، فأمر عليه الصلاة والسلام فقال: (اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم؛ فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي، وائتوني بأنبجانية أبي جهم)، فهذا الحديث يدل على أن من ذهل عن صلاته بحيث يفيء تارة ويغلب تارة فصلاته صحيحة. (دروس شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٤/٦٣).

والصحيح في هذه الصورة ما ذهب إليه الجمهور من صحة الصلاة.

والأقرب إلى الصواب في مسألة مدافعة الأخبثين التقسيم الذي ذهب إليه الإمام ابن دقيق العيد من قوله: "مدافعة الأخبثين إما أن تؤدي إلى الإخلال بركن أو شرط أو لا؛ فإن أدى إلى ذلك امتنع دخول الصلاة معه وإن دخل واختل الركن أو الشرط فسدت بذلك الاختلال وإن لم يؤد إلى ذلك ففيه الكراهة".

وعلى ذلك فلو أن إنساناً يدافع الأخبثين، ويخشى إن قضى حاجته أن تفوته صلاة الجماعة، فيقضي حاجته ويتوضأ ولو فاتته الجماعة، لأن هذا عذر، وإذا طرأ عليه في أثناء الصلاة فله أن يفارق الإمام.

والحكمة في النهي عن الصلاة مع مدافعة الأخبثين: ما يحصل من تشويش البال وشغل الخاطر لأجل قضاء الحاجة المخل بالخشوع. (حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١/٢٤٢).

قال أبو عمر ابن عبد البر: "أجمع العلماء على أنه لا ينبغي لأحد أن يصلي وهو حاقن إذا كان حقنة ذلك يشغله عن إقامة شيء من فروض صلاته وإن قل". (الاستذكار ٢/٢٩٦).

والحكمة من ذلك أيضاً: أن في هذا ضرراً بدنياً عليه، فإن في حبس البول المستعد للخروج ضرراً على المثانة، وعلى العصب التي تمسك البول؛ لأنه ربما مع تضخم المثانة بما انحقن فيها من الماء تسترخي الأعصاب، لأنها أعصاب دقيقة، وربما تنكمش انكماشاً زائداً، وينكمش بعضها على بعض، ويعجز الإنسان عن إخراج البول، كما يجري ذلك أحياناً. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/٢٣٥).

مسألة:

إذا كان الرجل على وضوء وهو يدافع البول والريح، فإذا قضى حاجته لم يكن عنده ماء يتوضأ به، فهل نقول: اقض حاجتك وتيمم للصلاة، أو نقول صل وأنت مدافع الأخبثين؟

الجواب نقول: اقض حاجتك وتيمم ولا تصل وأنت تدافع الأخبثين، لأن الصلاة بالتيمم لا تكره بالإجماع، أما الصلاة مع مدافعة الأخبثين مكروهة ومن العلماء من حرمها. (إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام لوليد اللهميد ١/١٩).

مسألة:

إذا قال قائل: إن الوقت قد ضاق، وهو الآن يدافع أحد الأخبثين فإن قضى حاجته وتوضأ خرج الوقت، وإن صلى قبل خروج الوقت صلى وهو يدافع الأخبثين، فهل يصلي وهو يدافع الأخبثين، أو يقضي حاجته ويصلي؛ ولو بعد الوقت؟

فالجواب: إن كانت الصلاة تُجمع مع ما بعدها فليقضِ حاجته، وينوي الجمع؛ لأن الجمع في هذه الحال جائز، وإن لم تكن تُجمع مع ما بعدها كما لو كان ذلك في صلاة الفجر، أو في صلاة العصر، أو في صلاة العشاء، فللعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: أنه يصلي ولو مع مدافعة الأخبثين حفاظاً على الوقت، وهذا رأي الجمهور.

القول الثاني: يقضي حاجته ويصلي ولو خرج الوقت.

وهذا القول أقرب إلى قواعد الشريعة؛ لأن هذا بلا شك من اليسر، والإنسان إذا كان يدافع الأخبثين يخشى على نفسه الضرر مع انشغاله عن الصلاة.

وهذا في المدافعة القريبة. أما المدافعة الشديدة التي لا يدري ما يقول فيها، ويكاد يتقطع من شدة الحصر، أو يخشى أن يغلبه الحدث فيخرج منه بلا اختيار، فهذا لا شك أنه يقضي حاجته ثم يصلي، وينبغي ألا يكون في هذا خلاف. (انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/٢٣٥).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



تحقيق تقوى الله في الجوارح

إعداد د. عماد عيسى

الحمدُ لله الذي هدانا إلى الإسلام سبيلاً، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه شهادة تشفي من ظمأ القلوب غليلاً وتدخلنا في الآخرة ظلاً ظليلاً، وبعدُ:

فإنّ تقوى الله في الجوارح عملٌ كبيرُ الفائدة عظيمُ الجدْوَى يحتاج إلى القدوة بالسلف لتحقيق الاقتداء وحصول العَدْوَى الأخلاقية لأنه كما أن خلائق السفهاء تُعدي فكذلك ينبغي أن تكون أخلاقُ الرّفعاء أشدَّ عدْوى لموافقتها للحق ومشابهتها الصّدق، وإنّما تكونُ تقوى الجوارح بالعمل على صلاحها واستصلاحها واهتبالِ الفُرصة في ذلك لكيْلا تفوت على صاحبها، فإن الفرصة إذا فاتتْ قد لا تعُود.

فأجْمعْ أمرَك ولا يكن أمرُك عليك غمة ولا تبرحْ الأرض حتى تتقي الله في جوارحك، ولا تستيئس من ذلك حتى تخلص نجيًا؛ بل خُذْ على نفسك موثقًا من الله أن لا تفرط في ذلك وإلا كنت شرًّا مكانًا وصرْتَ إلى ضلالك القديم وتحقيق تقوى الله في جوارحك بأمور سأرقمها لك وأتْلو عليْكَ منْها ذكرًا:

أولاً: توظيف الجوارح في العمل الصالح:

إنّ من تقوَى الله في الجوارح أن توظّفَها في مراضي الله وتستعملَها في محابِّه وهذا أعظمُ مساعد وخيرُ معوانٍ على تحْقيق التّقْوى فيها لأنّ نفسَك إن لم تشغَلْها بالحقّ شغلَتْك بالباطل من حيثُ لا تشعرُ، ومن وُفّق في هذا الأمر رُفِع إلى مَناط النّجوم وبلغ المراتبَ العالية والرُّتبَ السامية وصار إمامًا وقدوةً في الخير يُبْدأ ذكره ويُعادُ ويصبحُ ممّن قيل فيه:

بلغْتَ به شأوًا رَفيعًا ومحْتدًا
ونلتَ به ما لَمْ ينلْ كلُّ نائل

وهذا حقٌّ لأنّه لم يبلغْ إمامٌ منزلةَ الإمامة في الدين ولا درجتَها إلا بعمله وتقْواه إلى جَنْب الاشتغال بالعلْم تعلُّمًا وتعْليمًا، وما من واحد منهم إلا تَجدُه قدْ نبذَ الدُّنيا وراءَ ظهره، ثم أقبَل على آخرته فجعَل سَمَره في التّلاوة، وسهَره في التّعبُّد، واستِرواحه في الصّلاة، ولذّته في الذّكر، فقلوبُهم بلذاذة ذلك عامرةٌ، ونفوسُهم بحَلاوته غامرةٌ فللّه درُّهم وألهمنا الله حسن القدوة بهم.

لتقْرعنّ عليّ السنّ من ندم
إذا تذكرتَ يومًا بعض أخلاقي

وهذا التوظيف لا يأتي في يوم وليلة بل ربما استغرق نصف العمر أو أكثر من عشرَات السّنين،

ورحم الله ثابتًا البُناني حين قال: كابدتُ قيامَ الليلِ عشرينَ سنةً وتلذذتُ به عشرينَ سنةً أخْرى وهذا عجب يعز وجوده فسبحان مقلب القلوب ومحركها إلى علام الغيوب.

فلو أنني أقسمت ما كنتُ كاذبًا

بأن لم يرِ الراؤون حبرًا يعاد له

فالأمر يحتاجُ إلى مجاهدةٍ وصدقٍ في الجدِّ والعمل، لا سيَّما والساعي اليومَ في هذا الشأن فاقدُ المساعِد عديمُ المعِين.

اني رأيت وفي الأيام تجربة

للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاوله

واستصحب الصبر إلا فاز بالظَّفر

أما الكسل والتواني فإنه يمنع القلب من الحضور ويورث صاحبَه الجفاءَ والنفور فانتبه لهذه العقوبة والحرمان وخذ من ذلك مزْجَرةً للتذكُّر ومَنْهاة للتبصُّر.

ثانيا: لا تطع من الناس آثما أو كفورا:

صحبة الأثمة عبء يصعب احتماله، وجرح يبعد اندماله، إلا أن يكون ذلك بالاجتناب والمجافاة والمباعَدة التَّامَة والصَّرْم والقطيعَة، ولقد كنتُ إذا وجدتُ حولَ رجلٍ صحبةً غير صالحة قلتُ: «هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلْزالاً شديدًا»، وتذكرتُ الآية «ألا في الفتْنَة سقطوا»؛ لأن الصحبة لها سلْطان على ابن آدم، ولا تكاد تصلح منه الأيام شيئًا ما دام مع هذه الصحبة وهي دليل على رداءة داخلة المرء وفساد طويته ولذلك يصعب الخروج منه إلا بمعونة ربانية ومنحة إلهية.

وهذا المعْنى مستقى من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ" رواه أبو داود (٤٨٣٣) وحسنه الألباني، ومن كلام العرب: "إخوانُ السُّوءِ كشجَرةِ النارِ يحرقُ بعضُها بعضًا".

فاتَّخذْ من الصُّحبة الطيِّبة مَثابةً ومن الرُّفقة الصالحة صحابةً واعلم أنَّ الصحبة الآمرة بالمنكر الناهيةَ عن المعروف من أتاها فقد جاء شيئًا نكرًا لا يُحيطُ به خُبرًا، أو جاءَ أمْرًا إمْرًا لا يستطيعُ معه صبرًا لأنه يحملُ يوم القيامة بِمَا عمل وعملوا وزرًا وساءَ لهم يومَ القيامة حِمْلاً وقد خابَ من حَمَلَ ظلمًا.فانتبذْ منهم مكانًا قصيًّا واجعله مفارقتهم أمـرًا مقضيًّا ورَدِّدْ قولَه تعالى "أفأنت تكون عليه وكيلاً".

إن الصحبة السيئة أولو قوة وأولو بأس شديد وجنودٌ لا قبلَ للعبد بها لو ابتلي بذلك فذرْهم وادفعْهم أذلةً وهم صاغرون.

إنّ اختيارَ الصحبَةِ أمرٌ دقيقٌ يحتاجُ إلى نظر صحيح وتمييز وبصر فحاولْ أن تكون بنفسكَ مكتفيًا وعن كلِّ أحدٍ مستغنيًا ولا تكن واسعَ الخطْوِ في مُصاحبَةِ النَّاس بل كن ضيقَ الخُطا في ذلك متشدِّدًا غير متساهل في الاختيار لئلا تصادقَ الخسيسَ الذي يكون كالعذاب البئيس.

ثالثا: اجتناب مظانّ المعاصي:

وهذا أمرٌ لا تكاد تبلُغُه ويصعبُ تحقُّقه في هذا الزمان إلا بشقِّ الأنفس لفُشُوِّ المنكرات وانتشار المخالفات. ومع هذا الانتشار فسبلها فَجَّةٌ مائلةٌ عنِ المحجَّة، فَأْوِ إلى الخلوة وآثر العُزلة على رفقة السوء يهيئ اللهُ لكَ من أمرِكَ مرْفقًا وذلك خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عقبًا.

لقد كان أهل الكهف على توفيق كبير ومقربة من النجاة حينَما غادرُوا قومَهُم «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» (الكهف: ١٠)، إلى قوله تعالى «لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا» (الكهف: ١٨).

فَمَنْ تنزَّهَ عن أماكن المعصيَة طبْعًا كرِهَهَا شرْعًا، ومن اجْتَنَبَ مواطنَ العصْيان ومسالكَ أهلها ودُروبهم واشتغل بالطاعات كانَ وليًّا لله تعالى لأنه سيكونُ تقيَّ الجوارح مُبعدًا لها عن كلِّ منكر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ

أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" رواه البخاري (٦٥٠٢).

رابعا: مُراقبة الله في الجوارح:

كان من مضى من السلف أعظم الناس مراقبة لله تعالى في جوارحهم بحيث يضع أحدهم يده على عينه وهو يمشي لئلا تنظر إلى محرم، وبعضهم يضع يمينه في شماله كي لا يقع في الخيلاء، وآخر يجعل يديه في أذنيه إذا مرّ على قوم يسمعون الغناء والمنكر، ولم يكن أحدهم يفعل ذلك في الملإ من الناس فحسب، بل هو كذلك إذا خلا في سربه أو انفرد بنفسه، وهؤلاء القوم يدركني حنينٌ إليهم إذا كتبتُ عنهم فأنا أعدُّهم أصلي وفصلي وإليهم يهفو ويحنُّ قلبي، وهذا شرفٌ أدعيه وأنتسب إليه وأرتجيه، ولا عجب من هذا الشعور فالقوم فروعهم في الأخلاق شامخة، وعروقهم في الديانة راسخة.

خامسا: مُخالفةُ الشّيطان:

وتتبُّع هذا الأمر في كلّ نواحيه صعبٌ وحصرُه لا يُمكن، لكن نذكرُ منه ما يبرِّد اللوعة ويسكِّنُ الرّوعة وعذري عندئذ مبذولٌ وهو عند الكرام مقبولٌ، فاعلم أن جماع النجاة من الشيطان ووساوسه يكون في مخالفته لا سيّما في زمان من يشهدون الزُّور وغرَّهم بالله الغرور حتى حاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوحْش، فمن خالف شيطانَه فَرَقَ الشيطانُ من ظلِّه فلم يستطعْ أن يغويَه ولا أن يوظِّف جوارحَه في المعاصي، «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ» (النور: ٢١)، والشيطانُ لعَنَهُ الله قدْ يَنْصبُ للعبد أشرَاكَ الخُدع ويستَنزلُه بأنواع الطَّمع فمن وفَّقه الله نجاه منه ومن لا كان من الغاوين.

ومما ينبغي أن ينبهَ عليه أنّ الشيطانَ لا يُظهر عداوتَه بل يُخفيها أشدّ الإخفاء وهذه أخطرُ عداوة إذ إنّ أوهنَ الأعداء كيدًا أظهرُهم لعداوته ومن تأمل قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (البقرة: ١٦٨)، وقد صرحت آيات كثيرة في كون العداوة بينة واضحة فكيف تَخْفى على الناس حتى أن أكثر الخلق يُخدَعون بها ولا يُبصرون حقيقتها؟

الجواب: أنّ الشيطانَ لعنهُ الله عليه يدخلُ من مداخل غير مدخل العداوة، فيتدرَّع بلباس النُّصح ويلبسُ مُسُوح حبَّ الخير، ويُخْفي كلَّ علامة وأمارة تدلُّ على عداوته، فيدخلُ للعابد من عبادته، ويأتي العالم من جهة علمه، ويأتي للعاقل من طريق عقله، ويفتح على الجاهل من بوّابة جهله فيعامل كلاً بما يُخفي فيه عداوته ويُظهر فيه براءَته.

إن العدوَّ وإن أبدى مسالمة

إذا رأى منك يومًا فرصة وثبا

وانظر إلى صبر الشيطان على ابن آدم حيث يرميه بنباله حتى يوقعه في شَركه ويوثقه بحباله تجدْ صبرًا وكيدًا عجبًا يكون لمراده سببًا، يبدو ذلك واضحا في حديث جابر، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً " وفي لفظ: " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِه، قَالَ: فَيُدْنِيه مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: "فَيَلْتَزِمُهُ" (رواه مسلم: ٢٨١٣).

فتأمَّل في بعث الشيطان بعوثه وسراياه ليفتنُوا العبادَ ثم إليه يلجؤون ومن كل حدب، وتدبر تعظيم منزلة أشدهم فتنة، حين يقول أحد الشياطين: ما تركته أي: لم أزل لزيمًا وقرينًا حتى فرقت بينه وبين زوجته، بينما قال الأول: فعلت وفعلت بلا ذكر ملازمة فلا يخدعنك الشيطان وتعوذ بالله من همزه ونفخه ونفثه ووسوسته؛ فإن رُزقتَ ذلك فُزْتَ بخيري الدّارين.

أسأل الله أن يَمُنّ علينا بغفْرانه، ويعوِّضنا برحْمته في دار رضْوانه، إنه لا يردُّ دعاءَ من دعاهُ، ولا يَخيب رجاءُ من رجاهُ.

السيرة النبوية منهج حياة

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وهدانا للإيمان، وعصمنا من الضلالة، وعلَّمنا بعد الجهالة، ومنَّ علينا بالتوفيق؛ والهداية إلى أقوم طريق، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين؛ سيدنا محمد الذي شرح الله له صدره، وحط عنه وزره، ورفع له ذكره، وأعلى مكانته، وعظَّم رتبته، وشرَّف به أمته. فاللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا وحبيبنا... سيدنا محمد الذي عمَّت فواضله، وكثُرت نوافله، وعَظُمت شمائله، وعلى جميع آله وأصحابه الذين شهدوا أول الضياء، فاهتدَوْا به ونالوا كل نعماء، والتابعين لهم بإيمانٍ وحُسنِ اقتداء، أما بعد:

فإن السيرة النبوية بالرغم من اتساعها، وكثرة المُصَنِّفينَ فيها؛ لكنها يمكن جمعها في جملة واحدة مكونة من مبتدأ وخبر.

فالمبتدأ هو: «مُحَمَّدٌ» باعتباره بشرًا من ذرية آدمَ ونوح وإبراهيمَ، وهذا العَلَم قد ذُكر صريحاً في القرآن الكريم أربع مرات، منها قوله سبحانه: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» (محمد: ٢).

كما أن هذا الاسم: «مُحَمَّدٌ» هو الذي يتعين النطق به في شهادة الحق التي تجعل قائلها من جملة المسلمين، وبدهيٌ أن شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله هي الركن الأول في هذا الدين.

صلى الله عليه وسلم ثم هو أسوتنا في سائر عباداتنا ومعاملاتنا كلها، ومثلنا الأعلى في جميع طرائق الحياة: عنه نأخذ، ومنه نتلقى، وبه نقتدي، لا نسبقه بقول ولا بعمل... فلا يجوز لأحد أن يستبدل في الأذان أو الإقامة أو الصلاة اسمَ النبي محمد باسم آخرَ له صلى الله عليه وسلم حتى لو كان هذا الاسم: «أَحْمَدُ» الذي ورد في القرآن الكريم على لسان عبدالله ورسوله عيسى ابن مريم: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (الصف: ٦- ٩).

إعداد: د. سعيد صوابي

أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

أخرج البخاري ومسلم من حديث جُبَيرِ بن مُطعم أنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ».

وأما خبر ذاك المبتدأ «مُحَمَّدٌ» في تلك الجملة الاسمية المتقدمة فهو: «رَسُولُ اللَّه» وهذه الجملة المكتملة بركنيها هي التي افتتح الله سبحانه بها الآية الأخيرة من السورة التي تلي سورة محمد في ترتيب المصحف: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ» (الفتح: ٢٩).

فالناس قد عرفوا محمدًا صلى الله عليه وسلم بشرًا سويًا في حياته الأولى التي استمرت بينهم أربعين سنة، أما هو صلى الله عليه وسلم عند ربه؛ فإنه لم يوجد إلا؛ لأداء الأمانة، وتبليغ الرسالة، وإقامة هذا الدين في العالمين، فهو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وقدوة المؤمنين في كل حركاته وسكناته، وسفره وإقامته، ونومه ويقظته، وعقيدته وشريعته، وعباداته ومعاملاته، وآدابه وأخلاقه... وجميع أحواله في فترة الرسالة التي استمرت ثلاثةَ وعشرين عامًا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم بشرٌ من الناس؛ قد فُطِرَ على الأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، وكفاهُ فخرًا: وصفُ

ربه له وثناؤه عليه في قوله: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

إذًا: فهدفه صلى الله عليه وسلم الأسمى هو: دعوة كافة المكلفين للامتثال بهذا الشرع والتزامهم به، ولعلنا نلحظ ذلك في أسلوب الحصر والقصر من قوله تعالى: « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ » (آل عمران: ١٤٤).

وكذلك الإخبارُ الوارد في قوله تبارك اسمه: « مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » (الأحزاب: ٤٠).

فالإسلام هو الهدف الذي أُرسل من أجله خاتم النبيين، والغاية التي بُعث لتحقيقها ونشرها في العالمين، وهذا واضح في القرآن الكريم: المكي منه والمدني على السواء، قال تعالى: « قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ » (سورة ص: ٨٦- ٨٨)، وهي السورة الثامنة والثلاثون في ترتيب النزول وترتيب المصحف الشريف. وقال سبحانه: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ » (الصف:٩)، وقد ورد هذا الجزء من الآية الكريمة ثلاث مرات في سور هي من أواخر سور القرآن نزولاً بالمدينة ٣٣: التوبة، وهي السورة الثالثة عشرة بعد المئة في ترتيب النزول، والفتح: ٢٨ وهي السورة الحادية عشرة بعد المائة، الصف: ٩، وهي السورة التاسعة بعد المئة نزولاً على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد آثرت أن أكتب في سيرته صلى الله عليه وسلم التحليلية من الكتاب والسنة؛ من عالَم الغيب إلى عالَم الشهادة؛ مع التحليل والتمحيص. ومن ثَمَّ: بدأنا هذه المقالات التحليلية للسيرة النبوية بالإشارة إلى ما ورد في حقه صلى الله عليه وسلم في عالَم الغيب؛ منذ أن أخذ الله عز وجل الميثاق على النبيين: أن يؤمنوا به وأن ينصروه إذا أدركوا بعثته وحياته، كما قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ » (آل عمران: ٨١).

ثم مراحلَ حياته صلى الله عليه وسلم في عالَم الشهادة من المَوْلد والنشأة والكدح والبعثة والهجرة؛ وتأسيسِ الدولةِ وقيادةِ الأمةِ والمعاملةِ مع الغير، والإشارة إلى الغزوات التي تكفل القرآن بتفصيل أحداثها: كغزوة بدر في سورة الأنفال، وغزوة أحد في سورة آل عمران، وغزوة الخندق وبني قريظة في سورة الأحزاب، وصلح الحديبية وفتح خيبر وفتح مكة في سورة الفتح، وغزوة تبوك في سورة التوبة، وكثيرًا ما يضيف تفصيلات دقيقة كحديثه عن أموال العير التي نجا بها أبو سفيان؛ حين أرصدها المشركون لحرب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في يوم أحد: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » (الأنفال: ٣٦).

وكذلك التذكير بإمداد الله ونصره في يوم بدر؛ في معرض الحديث عن غزوة أحد: « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (آل عمران: ١٢٣).

وعند عرض وقائع وأحداث السيرة النبوية الشريفة: راعيت قدر الوسع والطاقة: الترابط الفكري بين أجزاء كل موضوع، فضلاً عن التناسق بين موضوعات البحث الواحد؛ حتى تظهر فائدة الوحدة الموضوعية والتاريخية في فهم أحداث السيرة النبوية دون إغفالٍ لتحليل أجزائها المكوِّنة لها والمتعلقة بها.. ليتأكد لدى كلِّ منصف: أن حياتَه صلى الله عليه وسلم كلَّها كانت خالصةً لله؛ يُبَلِّغُ شرعَه ويُعَلِّمُهُ للناس، ويجاهد صلى الله عليه وسلم في تربيته للأصحاب، وإعداد الخلفاء من بعده لتحمل تلك الأمانة والقيام بهذا الواجب.

فعلى سبيل المثال: استفدنا من سيرته صلى الله عليه وسلم في هذه البحوث التي تضمنها هذا الكتاب: أنَّ سيرتَه صلى الله عليه وسلم بدأت قبل خلق آدمَ بالميثاق الذى أخذه الله على النبيين وهم في عالم الغيب، وظهر ذلك على ألسنتهم بالتبشير به صلى الله عليه وسلم بما ورد فيما أنزل عليهم من صحف وكتب، ثم تتابعت سيرته صلى الله عليه وسلم بإعداد اللَّه له وصيانته عن كل ما يستقبح واصطفائه صلى الله عليه وسلم ليكون خاتمًا للنبيين ورحمةً للعالمين.

ثم عرفنا: كيف أنه صلى الله عليه وسلم قد أوذي في إقامة الدين بما لم يؤذ به أحد؛ حتى خرج من مكة عدة مرات توقيًا من إيذاء المشركين؛

وكذلك كان أصحابه يعذبون ويؤذَوْنَ؛ حتى هاجروا أكثر من مرة إلى الحبشة، وصبروا على الحصار والاضطهاد في مكة، إلى أن أكرمهم الله عز وجل باختياره المدينة المنورة دارًا لهم يهاجرون إليها ويستقرون بها... وهكذا؛ كانت حياتُهُ صلى الله عليه وسلم خالصةً لله؛ يُبَلِّغُ شرْعَه ويُعَلِّمُهُ للناس، ويجاهد صلى الله عليه وسلم في بنائه للأمة وإرسائه للدولة، وإعداده صلى الله عليه وسلم خلفاءَه من بعده لتحمل تلك الأمانة والقيام بهذا الواجب.

ويضاف إلى ذلك: البحوث المتخصصة في تحقيق المسائل المتشابكة؛ مع القول الفصل في كل منها.

وأخاطب كلَّ مُحِبٍّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: إن كنت من أحبابه: فانصرْه باتِّباعه، ولا تخف عليه من اعتداء المجرمين لقول الله له: « إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ » (الحجر: ٩٥).

فنبيُّك رفيع المقام عند ذي الجلال والإكرام، ولو وُكِل الأمر لنا كأفراد في الدفاع عن نبينا؛ لضحَّينا بأرواحنا، وانتقمنا ممن تطاول على نبينا بكل صارم مسلول على شاتم الرسول؛ لكننا ننصُرُه صلى الله عليه وسلم في أنفسنا ومجتمعاتنا بإحياء سنته، والاقتداء بسيرته وإحسان التأسي به في كل مجالات الحياة، فمن الناس مَن آمن بالرسول النبي الأمي واتبع نهجه: فوجبت له السعادة في الحياتين، وتحقق له الفلاح في الدارين: «فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨)، فهؤلاء حقًا هم الفائزون الذين يتبعون رضوان الله وصراطه وسبيله وهديه وأنبياءه وما صدر عنهم من حق في العسر واليسر والمنشط والمكره.

ومن الناس أصناف كثيرة تنكبت الصراط السوي، وأعرضت عن ذلك كله، وباءت بسخط الله، واتبعت الباطل والشيطان والشهوات وكل جبار عنيد.

ولا ينسَ المؤمن أن الله عز وجل توعَّد مُبغِض نبيه صلى الله عليه وسلم وبَشَّر لامزه وشانئه: بالخزي والذل والرغام وسوء الختام والعذاب الأليم المهين من الله شديد الانتقام والطرد من رحمته في الدنيا والآخرة وتصليته سقر والجحيم.

وبهذا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًا بيننا بسنته وشريعته، كما قال تعالى: «وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ » (الحجرات: ٧ - ٨).

وهذه الدراسة التحليلية للسيرة النبوية: لَبِنة نضعها بين أيدي العلماء، إسهامًا في رفع البناء، ونفعًا لكافة الإخوان والأبناء، قال تعالى: «فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ » (الرعد: ١٧).

كل ذلك مع الالتزام بالتوقير الذي طلبه الله سبحانه وتعالى منا لنبيه صلى الله عليه وسلم في قوله جل في علاه: « لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ » (الفتح: ٩).

حيث خاطب الله جل جلاله نبيه صلى الله عليه وسلم وناداه بقوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ » (المائدة: ٤١، ٦٧).

كما ناداه عز وجل في ثلاث عشرة آية بقوله سبحانه: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ » الأنفال: ٦٤، ٦٥، ٧٠، التوبة ٧٣، والأحزاب: ١، ٣٨، ٤٥، ٥٠، ٥٩. والممتحنة: ١٢، والطلاق: ١، والتحريم: ١، ٩.

والالتزام كذلك بالإكثار من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم استجابةً لأمر الله لنا في قوله جل وعلا: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦).

وجزى الله كُلَّ خيرٍ مَن قال:

إن شئْتُمُ أنْ تَسْلمُوا
يومَ الحِسابِ وتُرحَمُوا
وتعظَّموا وتُكرَّموا
فلهَدْيِ أحمدَ فالْزمُوا
وكُلَّما سَمِعْتُمْ ذكْرَهُ
صَلُّوا عَلَيهِ وسَلِّمُوا



أسباب الطلاق والتفكك الأُسَري

معاملة الزوجة بوحشية

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية، ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وكذلك مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: «وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا». (النساء/١٣٠).

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهد أقوى دليل على ذلك. وقد ذكرنا في الحلقة الماضية السبب الرابع والخامس من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري، ونكمل إن شاء الله فنقول:

من أسباب وقوع الطلاق:

سادسًا: مَنْعُ أحد الزوجين حقًّا من حُقُوقِ صاحبه الْوَاجِبَة لَهَا عَلَيْه:

كذلك من الأسباب التي تؤدي إلى قرب وقوع الطلاق؛ أن يمنع أحد الزوجين صاحبه حقًا من حقوقه، فهذا مما يورث الكراهية والحقد والتنافر وسوء العشرة.

قال ابن حجر الهيتمي (ت:٩٧٤): «مَنْعُ الزَّوْجِ حَقًّا مِنْ حُقُوقِ زَوْجَتِه الْوَاجِبَة لَهَا عَلَيْهِ كَالْمَهْرِ وَالنَّفَقَة، وَمَنْعُهَا حَقًّا لَهُ عَلَيْهَا كَذَلِكَ، كَالتَّمَتُّعِ، مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ عندها، قَالَ تَعَالَى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» (البقرة:٢٢٨). ذَكَرَهُ تَعَالَى عَقِبَ قَوْلِه: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» (البقرة: ٢٢٨) لأَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ الْمُرَاجَعَة إِصْلَاحُ حَالِهَا؛ لَا إِيصَالُ الضَّرَرِ إِلَيْهَا؛ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الزَّوْجَيْنِ حَقًّا عَلَى الْآخَر.

تزيُّن الزوج لزوجته حق لها

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا- إنِّي لَأَتَزَيَّنُ لامْرَأَتِي كَمَا تَتَزَيَّنُ لي لِهَذِه الْآيَة. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ عَلَيْه أَنْ يَقُومَ بِحَقِّهَا وَمَصَالِحِهَا، وَيَجِبُ عَلَيْهَا الانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ لَهُ، وَقِيلَ: لَهُنَّ عَلَى الزَّوْج إرَادَةُ الْإِصْلَاح عِنْدَ الْمُرَاجَعَة، وَعَلَيْهِنَّ تَرْكُ الْكِتْمَان فِيمَا خَلَقَ اللَّه فِي أَرْحَامِهِنَّ. وَالْأَوْلَى إبْقَاءُ الْآيَة عَلَى الْعُمُوم وَإِنْ كَانَ صَدْرُهَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ، ثُمَّ دَرَجَةُ الرَّجُل عَلَيْهَا؛ لِكَوْنِه أَكْمَلَ مِنْهَا فَضْلًا وَعَقْلًا وَدِيَةً وَمِيرَاثًا وَغَنِيمَةً، وَكَوْنِه يَصْلُحُ لِلْإِمَامَة وَالْقَضَاءِ وَالشَّهَادَة، وَكَوْنِه يَتَزَوَّجُ عَلَيْهَا وَيَتَسَرَّى، وَيَقْدِرُ عَلَى طَلَاقِهَا وَرَجْعَتِهَا، وَإِنْ أَبَتْ وَلَا عَكْسَ، وَأَيْضًا فَهُوَ أَخَصُّ بِأَنْوَاعٍ مِنْ الرَّحْمَة وَالْإِصْلَاح كَالْتِزَام الْمَهْر وَالنَّفَقَة وَالذَّبِّ عَنْهَا، وَالْقِيَام بِمَصَالِحِهَا، وَمَنْعِهَا مِنْ مَوَاقِع الْآفَات، فَكَانَ قِيَامُهَا بِخِدْمَته آكَدُ لِهَذِه الْحُقُوقِ الزَّائِدَة كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ » (النساء: ٣٤).

سبب قوامة الرجل على المرأة:

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ: تَفْضِيلُ الرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ حَقِيقِيَّةٍ وَشَرْعِيَّةٍ: فَمِنَ الْأَوَّلِ: أَنَّ عُقُولَهُمْ وَعُلُومَهُمْ أَكْثَرُ وَقُلُوبَهُمْ عَلَى الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ أَصْبَرُ وَكَذَلِكَ الْقُوَّةُ وَالْكِتَابَةُ غَالِبًا وَالْفُرُوسِيَّةُ وَالرَّمْيُ، وَفِيهِمُ الْعُلَمَاءُ وَالْإِمَامَةُ الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى وَالْجِهَادُ وَالْأَذَانُ وَالْخُطْبَةُ وَالْجُمُعَةُ وَالِاعْتِكَافُ وَالشَّهَادَةُ فِي الْحُدُودِ وَالْقِصَاصُ وَالْأَنْكِحَةُ وَنَحْوُهَا، وَزِيَادَةُ الْمِيرَاثِ، وَالتَّعْصِيبُ وَتَحَمُّلُ الدِّيَةِ، وَوِلَايَةُ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ، وَالرَّجْعَةُ وَعَدَدُ الْأَزْوَاجِ وَإِلَيْهِمُ الِانْتِسَابُ.

وَمِنَ الثَّانِي: عَطِيَّةُ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ وَنَحْوِهِمَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ»، فَحِينَئِذٍ الْمَرْأَةُ كَالْأَسِيرِ الْعَاجِزِ فِي يَدِ الرَّجُلِ، وَلِهَذَا أَمَرَ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْوَصِيَّةِ بِهِنَّ خَيْرًا فَقَالَ: «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ». أَيْ أَسِيرَاتٌ. وَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ الْمَمْلُوكِ وَالْمَرْأَةِ».

المعاشرة بالمعروف:

وَقَالَ تَعَالَى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ »(النساء: ١٩) قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ النَّصَفَةُ فِي النَّفَقَةِ وَالْبَيْتِ، وَالْإِجْمَالُ فِي الْقَوْلِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَتَصَنَّعَ لَهَا كَمَا تَتَصَنَّعُ لَهُ... وَجَاءَ عَنْهُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ: أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِسَنَدٍ رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ أَنَّهُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى مَا قَلَّ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ كَثُرَ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا، خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ» الْحَدِيثَ. وَعِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، وروى التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» وَصَحَّ أَيْضًا: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ». الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/٦١).

ذم البخل:

ومن حقوق المرأة على زوجها ألا يبخل عليها هي وأولادها، وكذلك لا يبخل عليها أيضًا بعدم تقديم خدماتها إليه وافية، أو في التزيين والتجمل والتنظف.

لقد ذم البخلَ أهلُ العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا.

وقد يكون الزوج بخيلاً حقًا، وهذه كارثة، وقد تكون الزوجة مسرفة ومبذرة وزوجها يحب أن يصرف الأموال بعقل وحكمة فتشعر الزوجة بأنَّ زوجها بخيل ولا يقوم بتأديه مهمته الزوجيَّة على أكمل وجه، ولا يغطي نفقاتها ومطالبها، وهذا أمر خاطئ، فالحكمة والعقل أن يكون كل شيء جميلاً ووسطًا، لتسير الحياة بشكل صحيح. قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩) وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». الحديث أخرجه مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فإن الشح.....».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». مسلم.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَدْخُلُ الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة». أخرجه أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد.

قَالَ أَعْرَابِيٌّ: عَجَبًا لِلْبَخِيلِ الْمُتَعَجِّلِ لِلْفَقْرِ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَالْمُؤَخِّرِ لِلسَّعَةِ الَّتِي إِيَّاهَا طَلَبَ، وَلَعَلَّهُ يَمُوتُ بَيْنَ هَرَبِهِ وَطَلَبِهِ، فَيَكُونُ عَيْشُهُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَحِسَابُهُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِيَاءِ، مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَرَ بَخِيلاً إِلاَّ غَيْرُهُ أَسْعَدُ بِمَالِهِ مِنْهُ؛ لأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا مُهْتَمٌّ بِجَمْعِهِ وَفِي الْآخِرَةِ آثِمٌ بِمَنْعِهِ وَغَيْرُهُ آمِنٌ فِي الدُّنْيَا مِنْ هَمِّهِ، وَنَاجٍ فِي الْآخِرَةِ مِنْ إِثْمِهِ. الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/٣١٨).

وقد يكون الزوج مع بخله في أهله كريمًا سخيًا مع غيرهم، إما لنيل المدح والثناء عند الغرباء، أو لتحقيق مصالح ونزوات شخصية، فمثل هذا ينصحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة فإنك تؤجر فيها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك». رواه أحمد (٣/٧٧).

وقال صلى الله عليه وسلم: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار في المساكين، ودينار في رقبة، ودينار في أهلك، أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك». رواه أحمد (١٦/١١٩).

ماذا تفعل الزوجة إذا بخل زوجها؟

هذا السؤال وجوابه حدث مع هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم إذ سألت هند رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟ قَالَ: «خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ». صحيح البخاري (٣/٧٩).

وهذا إرشاد نبوي للزوجة بأن تتجه لحل المشكلة بلا ضرر ولا ضرار، فلا تتجاوز في الأخذ من مال زوجها بدون إذنه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لهند: «بالمعروف» أي: بتقوى الله، وبما هو في العرف ليس إسرافًا وإفسادًا، والله هو المحاسِب لها على ذلك

عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: «جاء رجلٌ إلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلَّمَ فقالَ يا رسولَ اللهِ: عندي دينارٌ قالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ» قالَ عندي آخرُ: قالَ «أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ» قالَ عندي آخرُ: قالَ «أَنْفِقْهُ عَلَى أَهْلِكَ» قالَ عندي آخرُ: قالَ «أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ» قالَ عندي آخرُ: قالَ «أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ» قالَ سعيدٌ ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ إذا حدثَ بهذا الحديث: يقولُ وَلَدُكَ: أنفِقْ عَلَيَّ، إلَى مَنْ تكلني؟ تقول زوجتُكَ: أنفق عَلَيَّ أوْ طلقني يقولُ خادمُكَ أنفقْ عليَّ أو بِعْني». مسند الشافعي- ترتيب السندي (٢/٦٤).

والحديث بين ترتيب الأولويات في الإنفاق، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، كما يظهر من تعليق أبي هريرة على الحديث أن البخل والشح ومنع النفقة عن مستحقها بسبب الفراق.

ألا فليتق الله تعالى الزوج وزوجته، وليؤد كل منهما الحق الذي أمر الله به عليه حتى تستقيم الحياة وتحسن العشرة، وتدم المحبة والمودة، وتظهر الرحمة، وتحل السعادة، والله المستعان.

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأله سبحانه أن يبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا، وأن يصلح لنا سائر أحوالنا؛ إنه جواد كريم.



قصة الثلاثين ذئبًا التي ترعى مع الغنم

الحلقة (٢١١)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- الخوارج يتخذون هذه القصة الواهية وسيلة لإيهام العوام بأن إصلاح المجتمع لا يكون إلا بتغيير الرأس؛ حيث جاء في ختام هذه القصة عندما سُئل الراعي عن ذئاب في غنم لا تضرها؟ فقال: «إذا صلح الرأس، فليس على الجسد بأس».

٢- وبهذه القصة الواهية بما فيها من عجائب أوهموا العوام بأنه لا تغيير إلا بالخروج على الحكام، فخربوا البلاد وأكثروا فيها الفساد، مخالفين سنة الله في التغيير والتي بيَّنها العليم الخبير في قوله تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (الأنفال:٥٣)، وفي قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد:١١).

٣- قال الإمام الحافظ محدث الديار المصرية أبو جعفر الطحاوي الحنفي من أهل قرية طحا من أعمال مصر المتوفى سنة (٣٢١هـ) في «العقيدة الطحاوية» (ص٩٤):

«ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون». اهـ. فأين قول الراعي الذي رعى الذئاب مع الغنم؟ أين قوله: «إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس».

٤- إذن فمن الصالحون إن لم يكونوا هم الخلفاء الراشدون وعصرهم وهو ما أجمع عليه السلف هذا الإجماع الذي ذكره أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) في «رسالته إلى أهل الثغر» الإجماع (ص٤٦) قال: «وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم». اهـ.

٥- وخيرية الصحابة رضوان الله عليهم ثابتة بالسنة المطهرة في أعلى درجات الصحة حيث جاءت في الحديث المتفق عليه أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٣٦٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبُّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه».

٦- هذه القصة الواهية «قصة الثلاثين ذئبًا التي ترعى مع الغنم ولا تضرها» لم تحدث في عصر الخلفاء الراشدين المهديين، ولكن جاءت في هذا المتن المنكر أنها كانت في عصر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ولقد بيَّن الحافظ ابن حجر في



«التقريب» (٥٩/٢) قال: «عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، من الرابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف». اهـ.

قلت: والرابعة بينها الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٥/١) فقال: «طبقة تلي الطبقة الوسطى من التابعين جلُّ روايتهم عن كبار التابعين كالزهري وقتادة». اهـ.

٧- ومما يؤيد نكارة هذه القصة أن في عصر خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم تعدت الذئاب على الغنم وهذه من صفاتها الوراثية التي خلقها الله عليها بإرادته الكونية، فقد أخرج الإمام أحمد في «المسند» (٨٤/٣) (ح١١٧٣١) قال: حدثنا يزيد، أخبرنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ فَقَالَ: أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ؟ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟! فَقَالَ: يَا عَجَبًا! ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلاَمَ الإِنْسِ؟! فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ. قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُودِيَ: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي: «أَخْبِرْهُمْ». فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ».

قلت: وشيخ أحمد هو يزيد بن هارون. قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٧٢/٢): «ثقة متقن عابد». روى له الستة.

والقاسم بن الفضل الحداني قال الحافظ في «التقريب» (١١٩/١): «ثقة روى له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم، والأربعة». اهـ.

وأبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي، قال الحافظ في «التقريب» (٢٧٥/٢): «ثقة، روى له مسلم والأربعة، والبخاري معلقًا». ثم الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري.

فهذا سند رباعي رواته جميعًا ثقات وهو سند صحيح، وأخرجه الحاكم (٤٦٧/٤، ٤٦٨)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي». لذلك أورده الألباني في «الصحيحة» (ح١٢٢) وقال: «هذا سند صحيح».

فائدة: لقد ذكرنا هذه القصة الثابتة الصحيحة وحققناها لنثبت نكارة هذه القصة الواهية، ومن أصلح من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ حتى يقول الراعي في هذه القصة الواهية: «الذئاب ترعى مع الغنم لا تضرها لأنه إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس».

ثانيًا: متن قصة الثلاثين ذئبًا:

رُوي عن جسر القصاب قال: كُنْتُ أَحْلِبُ الْغَنَمَ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَمَرَرْتُ بِرَاعٍ وَفِي غَنَمِهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثِينَ ذِئْبًا، فَحَسِبْتُهَا كِلاَبًا، وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ الذِّئَابَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَاعِي، مَا تَرْجُو بِهَذِهِ الْكِلاَبِ كُلِّهَا ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهَا لَيْسَتْ كِلاَبًا، إِنَّمَا هِيَ ذِئَابٌ. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ذِئْبٌ فِي غَنَمٍ لاَ تَضُرُّهَا ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِذَا صَلَحَ الرَّأْسُ فَلَيْسَ عَلَى الْجَسَدِ بَأْسٌ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. اهـ.

ثالثًا: التخريج:

١- أخرج الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ) في كتابه «حلية الأولياء» (٢٥٥/٥) قال: «حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، حدثنا عامر بن شعيب، حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا رزق بن رزق الكندي، حدثني جسر القصاب قال: كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئبًا». القصة.

٢- وأخرجه الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر في كتابه «تاريخ دمشق» (٢٢٢/٤٥) قال: أنبأنا أبو علي الحداد أخبرنا أبو نعيم الحافظ به.

رابعًا: التحقيق:

أ- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة لا يصح،

والقصة واهية، فقصة الثلاثين ذئبًا التي ترعى مع الغنم ولا تضرها قصة غريبة لم يرو خبرها، إلا جسر القصاب ولم يرو هذا الخبر عن جسر إلا رزق بن رزق الكندي ولا عن رزق إلا يحيى بن أيوب تفرد به عامر بن شعيب.

وهذا التفرد مرتبط تمام الارتباط بهذا السياق الذي جاءت به القصة حتى لا يتقول من لا دراية بأصول الأفراد كما بينه الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٤٦/٢)- ط. دار المنهاج بالرياض وبينه شيخه الحافظ ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٧٠٨/٢) ط. الجامعة الإسلامية.

ب- وعلة هذا الخبر جسر القصاب:

١- قال الحافظ العقيلي في الضعفاء الكبير (٢٤٩/٢٠٢/١) ط. دار الكتب العلمية- بيروت: حدثني عبد الله بن أحمد قال: قال لي يحيى بن معين: ابتدأ من عنده وذكر جسر بن فرقد القصاب فقال: «ليس بشيء».

وقال الحافظ العقيلي: حدثني آدم، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل- يعني البخاري- قال: جسر بن فرقد ليس بذاك.

٢- وبالرجوع إلى الأصل نجد أن الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» (٥٤): قال: «جسر بن فرقد ليس بذاك».

قلت: وهذا المصطلح من الإمام البخاري له معناه، حيث قال الإمام الحافظ ابن كثير في كتابه «اختصار علوم الحديث» (ص٨٨): «وثم اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقيف عليها من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: سكتوا عنه، أو: فيه نظر. فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التخريج فليعلم ذلك». اهـ.

ولذلك قال الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٨): «أما قول البخاري: «سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بها بالاستقراء: أنها بمعنى تركوه». اهـ.

قلتُ: مما ذكرناه من قول الحافظين ابن كثير والذهبي يتبين أن قول الإمام البخاري: «جسر بن فرقد القصاب ليس بذاك» مقصده بالاستقراء من أدنى المنازل وأردئها عنده أيضًا ولكنه لطيف العبارة فلقد ذكر هذه العبارة الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٧٠٨٤/١٧٠/١٩) حيث قال البخاري في نوح بن دراج النخعي: «ليس بذاك» في حين قال فيه الإمام يحيى بن معين: «كذاب خبيث»، وقال الجوزجاني: «زائغ»، وقال النسائي: «متروك الحديث». اهـ.

قلتُ: وكذلك قول الإمام البخاري في «جسر بن فرقد القصاب: ليس بذاك يقابله عند الدارقطني: متروك. وهذا بيانه.

٣- قال الإمام أبو بكر البرقاني في «سؤالاته للإمام الدارقطني» (٧٠): «وسألته عن جسر بن فرقد؟ فقال: متروك».

٤- ولقد أورده الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (١٤٦) ذاكرًا الاسم فقط، فقال: «جسر بن فرقد بصري». اهـ.

فيتوهم من لا دراية له بمناهج علماء الجرح والتعديل أنه لم يذكر فيه جرحًا ولكن مجرد ذكره يدل على شدة ضعفه، حيث بين ذلك الإمام البرقاني في مقدمة كتاب «الضعفاء والمتروكين» للإمام الدارقطني، فقال الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بَيْننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الوريقات». اهـ.

قلتُ: من هذا يتبين أنه بمجرد ذكر الاسم يدل على اتفاق الأئمة الثلاثة: ابن حمكان والبرقاني والدارقطني على ترك جسر بن فرقد القصاب.

٥- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢١٧/١): «جسر بن فرقد القصاب من أهل البصرة كنيته أبو جعفر يهم إذا روى ويخطئ إذا حدث حتى خرج عن حد العدالة، ثم قال: سمعت محمد بن محمود يقول: سمعت الدارمي يقول: سألت يحيى بن معين عن جسر القصاب؟ فقال: ليس بشيء». اهـ.

٦- وأخرج له الإمام ابن الجوزي حديثًا منكرًا يدل على أنه خرج عن حد العدالة، ثم قال: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي إسناده جسر، يقال يحيى: ليس بشيء، لا يكتب حديثه، وقال ابن حبان: خرج عن حد العدالة.

قلتُ: وهو حديث قصة المؤمن الذي له في الجنة ثلاثة

ملايين وأربعمائة ألف زوجة يأتيها في غداة واحدة.

٧- ولقد نقل الإمام الذهبي أقوال أئمة الجرح والتعديل وأقرها في «الميزان» (١/٣٩٨/١٤٨٠) فقال: «جسر بن فرقد القصاب أبو جعفر، بصري قال البخاري: ليس بذاك عندهم، وقال ابن معين من وجوه عنه: ليس بشيء». اهـ.

قلتُ: قول الإمام الذهبي: وقال ابن معين من وجوه عنه: ليس بشيء» بيَّنه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢/١٦٨) (٣١/٣٥٦):

الوجه الأول: قال ابن عدي: حدثنا علي بن أحمد بن سليمان، ثنا أحمد بن سعد بن أبي مريم قال: سألت- يعني- يحيى بن معين عن جسر أبي جعفر، فقال: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه.

الوجه الثاني: قال ابن عدي: حدثنا محمد بن علي المروزي قال: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، سألت- يعني- يحيى بن معين عن جسر: كيف هو؟ قال: لا شيء.

الوجه الثالث: قال ابن عدي: حدثنا ابن حماد، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال لي يحيى بن معين ابتداء من عنده وذكر جسر بن فرقد: كيف هو؟ قال: لا شيء».

وختم الإمام ابن عدي ترجمة جسر فقال: «أحاديثه عامتها غير محفوظة». اهـ.

٨- وذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢/١٣٢) (١٩٤٧/٨٠) قال جسر بن فرقد القصاب أبو جعفر بصري، ثم نقل: أن النسائي قال: «ليس بثقة لا يكتب حديثه». اهـ.

٩- الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل:

أن جسر بن فرقد القصاب أبو جعفر البصري: متروك، ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وليس بثقة لا يكتب حديثه، أحاديثه عامتها غير محفوظة، خرج عن حد العدالة، ولم يَرْوِ له أحد من أصحاب الكتب الستة.

جـ- وعلة أخرى تزيد الخبر وهنًا على وهن: عامر بن شعيب:

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٣٥٩/٤٠٧٩):

«عامر بن شعيب قال أبو عبد الله الحاكم: له موضوعات». اهـ.

٢- وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان»: «عامر بن شعيب وهو الإسفنجي نسبة لقرية من نيسابور، قال الحاكم- وهو أبو عبد الله النيسابوري-: روى عن ابن عيينة، والثقفي، وعيسى بن يونس وابن أبي شيبة وطبقتهم مناكير، بل أحاديث أكثرها موضوعات». اهـ.

٣- قلت: والموضوع بينه الحافظ السيوطي في «التدريب» (١/٢٧٤) النوع (٢١) قال:

«الموضُوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو أسوأ الضعيف وأقبحه، ومحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام، والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

وعامر بن شعيب أيضًا لم يرو له أحدٌ من أصحاب الكتب الستة.

قلتُ: من هذا التحقيق وبيان العلل يتبين أن قصة الثلاثين ذئبًا التي ترعى مع الغنم، قصة واهية، وهي من الموضوع الذي رواه عامر بن شعيب، وجسر بن فرقد القصاب الذي خرج عن حد العدالة وليس بثقة ولا يكتب حديثه، ويعتبر هذا الخبر الذي جاءت به القصة من الأخبار الساقطة لعامر بن شعيب كما بين ذلك الإمام الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/٩٨) وهذا الخبر أيضًا من أوهام وأخطاء جسر القصاب والتي بها خرج عن حد العدالة.

فلا تترك المجتمعات التربية على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة لقصة واهية وضعها من خرج عن حد العدالة ويرويها من يروي الموضوعات وتحمل قولاً موضوعًا لراع مجهول يقول: «إذا صلح الرأس، فليس على الجسد بأس».

وبدأ الخروج بإزالة الرأس، والجسد خلاياه الحِر والحرير والخمر والمعازف والربا والقلب مريض بالشبهات والشهوات، فأين هذا الخبر الساقط من الحديث الذي أخرجه البخاري مسلم من حديث النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

مناقشات الأشعري، وردوده على الجهمية والمعتزلة والحرورية وغيرهم ممن تأولوا الاستواء بالاستيلاء.. فأنى لمن يدّعي شرف الانتساب إليه أن يتبنى منهج خصومه ولا يقول بقوله؟

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

وبعد: فقد سبق أن ذكرنا لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤) تركه طريقة التأويل والتفويض، وكيف آل أمره إلى مذهب السلف وعقيدة أهل السنة والجماعة، وأوضحنا أن من لم يدن بما جاء في كتابه (الإبانة) وكذا سائر كتبه - التي أثبت فيها (الاستواء) وجميع صفات الله الفعلية والخبرية، وسطّر من خلالها آخر ما استقر عليه أمره من صحيح الاعتقاد - وعلى رأسها (مقالات الإسلاميين) و(رسالة إلى أهل الثغر)، يُعد خارجاً عن صواب ما انتهجه، ولا يُعد "مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد" على حد قول ابن عساكر، ومن ثم لا يصح أن ينتسب إليه.. والحق أن منهج الأشعري الذي لقي الله عليه، فإنه يمثل الوسطية بحق لا تلك المدعاة للأشاعرة، وقد ظهرت معالم منهجه الوسطي بين التشبيه والتعطيل في اعتماده القواعد العلمية الستة التالية:

١- اعتماد الوحي في إثبات ما أثبته الله ورسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تجسيم ولا تفويض ولا تأويل.

٢- اعتماد أدلة العقل المستوحاة من أدلة النقل.

٣- قطع الطمع في إثبات صفاته تعالى عن إدراك ومعرفة كيفية ما وصف به نفسه لكون الكلام في صفاته فرع عن الكلام في ذاته.

٤- الأخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة دون ما وقوع في التشبيه، والإقرار بالإجماع في ذلك وبأحاديث الآحاد.

٥- القول في الصفات كالقول في الذات والقول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

٦- انتهاج طريقة الإثبات المفصل والنفي المجمل.

أ- منهج الأشعري في إثبات جميع الصفات بلا تفويض ولا تأويل ولا صرف لها عن ظاهرها:

وما من شك أن هذه الأصول التي اتكأ عليها الأشعري بعد أن هداه الله إلى مذهب السلف، والتي فصلنا فيها القول في كتابنا: (صحيح معتقد أبي الحسن) ص٨٣: ١١٤، هي أصول أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع صفات الله، وهي أصول سديدة لفهم نصوص القرآن والسنة سواء فيما يخص صفة (الاستواء) أو غيرها، والمقتفي خطاها متبع لطريق الهدى والرشاد، لكن تلامذته والمنتسبين إليه من بعده، خالفوا ما استقر عليه، وكان من الواجب أن يراعوا ما عرّض به بحق مخالفي مذهبه، إذ نراه يعلن تخليه عن جميع المذاهب التي دأبت على تعطيل صفات الخالق جل وعلا سواء أكان هذا التعطيل كليًا أم جزئيًا.

وبوسعنا - لتوضيح هذه الحقيقة - أن نعقد مقارنة لندرك الفرق بين ما آل إليه

امر الأشعري، وبين ما به خالف أتباعه والمنتسبون إليه -ادعاءً- نهجه وطريقته في إثبات جميع ما أثبته الله ورسوله من صفات، وقد أتى ضمن ذلك بالطبع: اعتقاد أن الله استوى على العرش استواء حقيقيًّا يليق بجلاله وبلا كيف، وأن عرشه فوق سماواته، وإبطال قول كل من تأولها بالاستيلاء.. فقال في (الإبانة) ص٨٣ تحت عنوان (ذكر الاستواء على العرش) ما نصه:

"إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟، قيل له: نقول إن الله يستوي على عرشه استواء يليق به، كما قال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/٥)، وقد قال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ)فاطر/١٠)، وقال: (يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) السجدة/٥)، وقال حاكياً عن فرعون:

(يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا)غافر/٣٦، ٣٧)، فكذَّب فرعونُ موسى عليه السلام في قوله: (إن الله فوق السموات).. وليس إذا قال تعالى: (ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ) الملك/١٦) يعني: جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات.. ألا ترى الله تعالى حين قال: (وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) نوح/١٦) لم يُرد أن القمر يملأهن جميعاً وأنه فيهن جميعاً.. ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دَعوا نحو السماء، لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش".

ومن غير دليل الفطرة السالف ذكره، راح الأشعري يقيم أدلة العقل والنقل على ما سلمت به الفطر السليمة ويقول: "ومما يؤكد أن الله مستوٍ على عرشه دون الأشياء كلها: ما نقله أهل الرواية فيما صح عن رسول الله في قوله: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا.. الحديث).. نزولاً يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دليل آخر: هو قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) النحل/٥٠)، وقوله: (تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ) المعارج/٤)، وقوله: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ)فصلت/١١)، وقوله: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) الأعراف/٥٤)، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستوٍ على عرشه استواء منزهاً عن الحلول والاتحاد.

دليل آخر هو قوله تعالى لعيسى عليه السلام: (إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ) آل عمران/٥٥)، وقال: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ)النساء/١٥٧، ١٥٨)، وقد أجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء".

وما فتئ رحمه الله يسوق جملة من الآيات على مباينته تعالى لخلقه، ليستدل من خلال ذلك على استوائه على عرشه، وليرد على الحلولية ومنكري الاستواء، ومما استشهد به لهذا الغرض، قوله تعالى: (ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ) الأنعام/٦٢)، وقوله: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ)الأنعام/٣٠)، وقوله: (وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا)الكهف/٤٨).. وقد علق يقول: "كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه، وأنه مستوٍ على عرشه بلا كيف، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون، لم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم -السلبية- تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل".

وأردف الأشعري يكشف عما رواه العلماء من قصة المرأة التي أعتقها معاوية بن الحكم في كفارة، فقال لها عليه السلام: (أين الله؟)، قالت: في السماء، قال: (فمن أنا)؟ قالت: أنت رسول الله فقال: (اعتقها فإنها مؤمنة).. ثم جعل يقول: "وهذا يدل على أن الله على عرشه فوق السماء، فوقية لا تزيده قرباً من

العرش".

وهو عينه ما قاله في الإبانة حين نسب ما قاله أصحاب الحديث وأهل السنة، لنفسه باعتباره واحداً منهم، فقال ص٤٩: "جملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش".

وفي كتابه (مقالات الإسلاميين)، وإبان ذكر مقولة المعتزلة في تأويل الاستواء بالاستيلاء، واختلافهم في الباري هل هو في مكان دون مكان؟، وهل تحمله ملائكته أم يحمله العرش؟، قال الأشعري ص ٢١١-وبنحوه في الإبانة ص٥٠-: "وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: إنه تعالى ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وإنه على العرش كما قال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/٥)، ولا نقدم بين يدي الله في القول، بل نقول: استوى بلا كيف.. وإن له وجهاً كما قال: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) الرحمن/٢٧)، وأن له يدين كما قال: (خلقت بيدي.. ص/٧٥)، وإن له عينين كما قال: (تجري بأعيننا.. القمر/١٤).. إلخ".

ومما ساقه في (مقالات الإسلاميين) ص٢١٧ عن أصحاب الحديث الذين رأيه من رأيهم، قولهم: "لسنا نقول في ذلك - يعني في اليدين والوجه والعينين والجنب - إلا ما قاله الله، أو جاءت به الرواية عن رسول الله فنقول: (له وجه بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف)".

كما قال في نفس المصدر ص٢٩٠ وما بعدها، وتحت عنوان: (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة)، ما نصه: "جملة ما عليه أهل الحديث والسنة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله، لا يردون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/٥).. ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: (فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ) النساء/٥٩)، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله".. إلى أن قال بعد أن ذكر من الصفات المثبتة: (اليد والعين والوجه والنزول والمجيء والقرب): "فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب".

وفي رسالته إلى أهل الثغر ص٢١٤، يؤكد الأشعري على هذا الإجماع فيقول ما نصه: "وأجمعوا على إثبات حياة لله لم يزل بها حيًا، وعلمًا وقدرة وكلامًا وإرادة وسمعًا لم يزل بها كذلك، وأجمعوا على أن صفته لا تشبه صفات المحْدَثين كما أن نَفْسَه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له هذه الصفات لم يكن موصوفاً بشيء منها في الحقيقة"، إلى أن قال بعد أن ساق الإجماع على إثبات اليد والقبضة والنزول: "وأجمعوا على.. أنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه.. وليس استواؤه على ال عرش استيلاء، لأنه لم يزل مستولياً على كل شيء.. وأن له كرسيًا دون العرش، وقد دل على ذلك بقوله: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) (البقرة/٢٥٥)، كما جاءت الأحاديث أن الله يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه".

وقد جاء عقيب هذا النص مباشرة وتحديداً ص٢٣٦، قوله: "وأجمعوا على وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم".. الأمر الذي يؤكد أن البديل الذي اختاره الأشاعرة وانتهجوه في تأويل الصفات الخبرية والفعلية قد بريء منه، كونه معطِّلاً للنصوص ومخالفاً لإجماع أهل السنة والجماعة.

ب- ويستنكر ويدحض تأويلات من ادعوا لأنفسهم شرف الانتساب إليه ممن ليسوا على مذهبه:

وعلى نحو ما جاء إثبات صفات الخالق فيما

نطق به الأشعري بصريح العبارة، جاء إنكاره على من تأوَّلها أيضاً بصريح العبارة.. كما شدد النكير في غير ما مرة على من تأوَّل الاستواء بالاستيلاء أو القهر أو القدرة.. ومن ذلك قوله في الإبانة ص٨٣:

"وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥)، أنه (استولى) و(ملك) و(قهر) و(أن الله في كل مكان)، وجحدوا أن يكون الله مستوٍ على عرشه كما قال أهل الحق.. وذهبوا في (الاستواء) إلى (القدرة)، ولو كان هذا كما ذكروه؛ لما كان هناك فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، والأرض لله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم.. ولو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مستوٍ على الأشياء كلها، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه قادر على الأشياء كلها مستولٍ عليها.. وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش: (الاستيلاء) الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى (الاستواء) يختص بالعرش لعظمته دون الأشياء كلها.

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين.. ويقال لهم: إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنىً يختص العرش دون غيره كما قال ذلك أهل العلم ونقلة الأخبار وحملة الآثار، وكان الله في كل مكان، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها.. وفي هذا ما يستلزم أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المتناقض".

وكان مما ذكره الأشعري عن المعتزلة في (المقالات) ص٢١١ قولهم: "إن الله استوى على العرش، بمعنى: (استولى)"، فكان رده ما ذكرناه له آنفاً وبنفس الصفحة.. كما ردَّ ص١٩٥، ٢١٨ على تأويلات المعتزلة أيضاً بشأن صفتي العين واليد في حقه تعالى، وكذا فعل في الإبانة ص٩٨ حين ردَّ تأويلهم الوجه بالذات، مخالفاً في كل ذلك المبتدعة من المتكلمة ومدعي الانتساب إليه، ومساوياً من يفعل ذلك بمن أنكر سمع الله وبصره وعلمه وقدرته.

ويلاحظ هنا أن ما تأوله متأخرو الأشاعرة، ما هو إلا ما كان عليه الجهمية والخوارج والمرجئة والشيعة والمعتزلة وما كان عليه الأشعري قبل أن يرجع عنه إلى طريق أهل السنة، ومن ثم فقد تَسَنَّى أن يكون إنكاره على قائليه من أهل الاعتزال وأضرابهم، إنكار على من سلك طريقهم من الأشاعرة.

ومما يدل على تخبط من خرج على معتقد جماعة أهل الحق وعلى صواب ما رجع إليه أبو الحسن، حَمْلُهم بعضَ صفات الأفعال والخبر من نحو: (الرؤية) و(القدرة) و(الحياة) على الحقيقة، وتأويلهم البعض الآخر منها من نحو: (النزول) و(الاستواء) و(اليد) و(القبضة) بصرفهم إياها إلى المجاز.. حيث صرفوا (النزول) إلى: المجاز عن نزول رحمته، و(الاستواء) إلى: المجاز عن الاستيلاء، و(اليد) و(القبضة) إلى: المجاز عن القدرة.. وهكذا، وليس هناك دليل على صدق أو صحة ما ذهبوا إليه، ولا لديهم ضابط يُرجع إليه في التفرقة بين هذه الصفات والتي قبلها، لوجوب حمل جميع الصفات على مخالفة الحوادث وإيهام التشابه وتنزيه الله عنهما، ولكون ما أفردوه بالإثبات من دون تأويل، هو كذلك من لوازم الحوادث والعوارض ومما يوهم المشابهة والتجسيم، ولا مخرج من كل ذا إلا بإثباتها وحملها جميعاً على الوجه اللائق به، دون ما تفرقة ودون ما تشبيه ولا تجسيم ولا تعطيل ولا تفويض أو تأويل..

وإلى لقاء نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.



تراجم أئمة القراءات

الإمام عاصم وراوياه شعبة وحفص


إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام عاصم:

هو عاصم بن أبي النَّجُود (بنون مفتوحة وجيم مضمومة) أبو بكر الأسدي مولاهم، إمام أهل الكوفة، واسم أبي النجود بهدلة، وهو اسم أبيه على الصحيح.

مولده: في إمرة معاوية بن أبي سفيان.

قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش الأسدي، وهو معدود في صغار التابعين، وانتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن.

وقرأ عليه خلق كثير منهم الأعمش، وأبان العطار، والحسن بن صالح، وأبو بكر بن عياش، وحفص بن سليمان.

حدث عنه من الكبار عطاء بن أبي رباح، وأبو صالح السمان، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب، والحمادان، والسفيانان، والخليل بن احمد وشعبة، وأبو عوانة الوضاح، وخلق، وحديثه مخرج في الدواوين الستة.

قال الإمام الذهبي في السير: "كان عاصم ثبتًا في القراءة، صدوقا في الحديث"، وقد وثقه أبو زرعة وجماعة، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وقال الدار قطني: "في حفظه شيء" يعنى: للحديث لا للحروف، وما زال في كل وقت يكون العالم إمامًا في فن مقصرًا في فنون، وكذلك كان صاحبه حفص بن سليمان ثبتًا في القراءة، واهيًا في الحديث، وكان الأعمش بخلافه كان ثبتًا في الحديث، لينًا في الحروف.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو بكر بن عياش: "لما هلك أبو عبد الرحمن السلمي جلس عاصم يقرئ الناس، وكان عاصم أحسن صوتًا بالقرآن حتى كأن في حنجرته جلاجل".

وقال: سمعت أبا إسحق يقول: ما رأيت أحدا أقرأ من عاصم بن أبي النجود.

وقال: قال لى عاصم: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفًا.

وقال: كان عاصم نحويًا فصيحًا إذا تكلم، مشهور الكلام، وكان هو والأعمش وأبو حصين الأسدي لا يبصرون، جاء رجل يومًا يقود



عاصمًا فوقع وقعة شديدة، فما كهره ولا قال له شيئًا.

وقال: قال لى عاصم: من لم يحسن من العربية إلا وجهًا واحدًا لم يحسن شيئًا، ثم قال: ما أقرأني أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود، فقلت لعاصم: لقد استوثقت.

وقال: كان عاصم إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يمكث يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا خيِّرًا أبدًا يصلي، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجدًا قال: مِلْ بنا فإن حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل فيصلي.

وقال: دخلت على عاصم، فأغمي عليه، فأفاق ثم قرأ قوله: (ثم ردُّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)، فجعل يردد هذه الآية يحققها حتى كأنه في الصلاة، فعلمت أن القراءة منه سجية.

وقال حسن بن صالح: ما رأيت أحدًا قط أفصح من عاصم بن أبي النجود.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: رجل صالح خيِّر ثقة، فسألت أبي: أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عاصم صاحب سُنة وقراءة، كان رأسًا في القرآن، قدم البصرة فأقرأهم.

وقال سلمة بن عاصم: كان عاصم بن أبي النجود ذا نُسك وأدب وفصاحة وصوت حسن.

وقال حفص: قال لي عاصم ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود.

وفاته: توفي سنة سبع أو ثمان وعشرين ومائة.

ومن أبرز الرواة عنه: شعبة وحفص.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

فأما أبو بكر وعاصم اسمه

فشعبة راويه المبرز أفضلا

وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا

وحفص وبالإتقان كان مفضلا

شعبة (٩٥-١٩٣هـ):

هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي، اختُلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً، أصحها شعبة.

قرأ القرآن ثلاث مرات وجوَّده على عاصم. قال: تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم، فلقي مني شدة، فما أحسن غير قراءته. وقال: تعلمت من عاصم خمسًا خمسًا، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأت على غيره، واختلفت إليه نحوًا من ثلاث سنين في الحر والشتاء والمطر.

وقرأ عليه أبو الحسن الكسائي، ويحيى العليمي، وأبو يوسف يعقوب الأعشى، وعبد الحميد بن صالح البرجمي، وغيرهم.

حدث عنه: ابن المبارك، وأبو داود الطيالسي، وأحمد بن حنبل، وأبو كريب، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وخلقٌ.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الذهبي: كان سيدًا إمامًا ثقة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين.

قال وكيع: هو العالم الذي أحيا الله به قرنه.

قال أحمد بن حنبل: ثقة ربما غلط، صاحب قرآن وخير.

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش.

من أقواله: من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله، لا نجالسه ولا نكلمه.

وقال: والله لو أعلم أحدًا يطلب الحديث

بمكان كذا وكذا أتيت منزله حتى أحدثه.

وقال للحسن بن الحسن بالمدينة: ما أبقت الفتنة منك؟ قال: وأي فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتهم يقبلون يدك فلا تمنعهم.

وقال: أبو بكر خليفة رسول الله في نص القرآن، لأن الله تعالى يقول: (للفقراء المهاجرين) إلى قوله (أولئك هم الصادقون) فمن سماه الله صادقًا ليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بها عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بلية.

وقال: الدخول في العلم سهل، ولكن الخروج منه إلى الله شديد.

وقال يحيى بن سعيد: زاملت أبا بكر بن عياش على مكة، فما رأيت أورع منه، ولقد أهدى له رجل رطبًا فبلغه أنه من بستان أخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد فاستحلهم وتصدق بثمنه.

قال أبو عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة فأتى سفيان بن عيينة فبرك بين يديه، فجاء رجل يسأل سفيان عن الحديث، فقال: لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعدًا.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو بكر قال: قال لى عبد الملك بن عمير: حدثني، وكنت أحدث أبا إسحق فيسمع إلي، وأحدث الأعمش فيستعيدني.

وقال عيسى بن يونس: سألت أبا بكر بن عياش عن الحديث فقال: إن كنت تحب أن تحدث فلست بأهل أن تؤتى، وإن كنت تكره فبالحري أن تنجو.

قال أحمد بن يونس: كان الأعمش يضرب هؤلاء ويشتمهم ويطردهم (يقصد طلاب الحديث)، وكان يأخذ بيد أبي بكر، فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

وقال يزيد بن هارون: كان أبو بكر خيِّرًا فاضلاً، لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة.

وروى عنه أنه مكث أربعين سنة أو نحوها يختم القرآن في كل يوم وليلة. قال الإمام الذهبي معلقًا على هذا: إذا سمعت مثل هذا عن الرجل يعظم في عيني وأغبطه، ولكن متابعة السنة أرفع، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث، وقال: "لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث"؛ صدق نبينا صلى الله عليه وسلم، فلعل هؤلاء ما بلغهم النهي عن ذلك، والله أعلم.

لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة.

حفص (٩٠-١٨٠هـ):

هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر الكوفي الأسدي، تلميذ عاصم وابن زوجته، ومن ثم أتقن القراءة عنه، فهو معه في داره يقرأ عليه القرآن مرارًا.

قرأ عليه عرضًا وسماعًا عمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح، وأبو شعيب القواس، وحمزة بن القاسم وغيرهم.

قال الإمام الذهبي عنه: أما في القراءة فثقة ثبت، ضابط لها بخلاف حاله في الحديث.

وقال أبو هاشم الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم.

وقال ابن مجاهد: بين حفص وأبي بكر من الخلاف في الحروف في خمسمائة وعشرين حرفًا في المشهور عنهما.

وقال ابن المنادي: كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق ابن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ على عاصم، وأقرأ الناس دهرا.

ملاحظة:

الحرف عند المقرئين يطلق على الكلمة القرآنية المختَلَف فيها بين القراء، أو يطلق على القراءة نفسها.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن.



باب العقيدة

الحلقة الرابعة عشرة

فضل أهل البيت
وما يجب لهم من غير جفاء ولا غُلُوّ

إعداد د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتحدث في هذا العدد عن فضل أهل البيت وما يجب لهم، من غير جفاء ولا غُلُوّ، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أهل البيت هم آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين حَرُمتْ عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته؛ لقوله تعالى: « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (الأحزاب: ٣٣).

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-: (ثُمَّ الذي لا يشك فيه من تدبَّر القرآن، أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (الأحزاب: ٣٣).

فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله: « وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ » (الأحزاب: ٣٤).

أي: واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن، من الكتاب والسنة. قاله قتادة وغير واحد.

واذكرن هذه النعمة التي خُصصْتُنَّ بها من بين الناس: أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق- رضي الله عنها- أولاهُنَّ بهذه النعمة، وأخصُّهُنَّ من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها، كما نصَّ على ذلك صلوات الله وسلامه عليه، وقال بعض العلماء: لأنه لم يتزوج بكرًا سواها، ولم ينم معها رجل في فراشها سواه صلى الله عليه وسلم فناسب أن تُخصَّص بهذه المزية، وأن تَفردَ بهذه المرتبة العليَّة، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرابته أحق بهذه التسمية) انتهى من تفسير ابن كثير.

فأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال يوم غدير خُم : (أُذكِّركم الله في أهل بيتي) (رواه مسلم).

فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم؛ لأن ذلك من محبة النبي صلى الله عليه وسلم وإكرامه، وذلك بشرط: أن يكونوا متبعين للسُّنَّة مستقيمين على الملة، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنوه، وعلي وبنوه، أما من خالف السنة، ولم يستقم على الدين، فإنه لا تجوز موالاته ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرءون ممن خالف السنة

وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول، لا ينفعه شيئًا حتى يستقيمَ على دين الله، فقد روى أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » (الشعراء: ٢١٤).

فقال: (يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفيّة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا) (رواه البخاري).

والحديث: (من بَطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه) (رواه مسلم).

ويتبرأ أهل السُّنَّة والجماعة من طريق الروافض؛ الذين يَغلون في بعض أهل البيت، ويَدَّعون لهم العصمة، ومن طريقة النواصب؛ الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت، ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل، والصراط المستقيم الذي لا إفراطَ فيه ولا تفريط، ولا جفاء ولا غلو في حق أهل البيت وغيرهم، وأهل البيت المستقيمون يُنكرون الغلو فيهم، ويتبرؤون من الغُلاة، فقد حرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- الغلاة الذين غَلَوا فيه بالنار، وأقرّه ابنُ عباس- رضي الله عنه- على قتلهم، لكن يرى قتلهم بالسيف بدلاً من التحريق، وطلب علي- رضي الله عنه- عبد الله بن سبأ رأس الغُلاة ليقتله؛ لكنه هرب واختفى.

في فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم

ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم

ما المراد بالصحابة، وما الذي يجب اعتقاده فيهم

الصحابة جمع صحابي؛ وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على ذلك، والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة، وخير القرون؛ لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم، والجهاد معه، وتحمل الشريعة عنه، وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبة: ١٠٠).

وقال تعالى: « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (الفتح: ٢٩).

وقال تعالى: « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (الحشر: ٨، ٩).

ففي هذه الآيات أن الله سبحانه أثنى على المهاجرين والأنصار، ووصفهم بالسبق إلى الخيرات، وأخبر أنه قد رضي الله عنهم، وأعدّ لهم الجنات، ووصفهم بالتراحم فيما بينهم، والشدّة على الكُفّار، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود، وصلاح القلوب، وأنهم يعرفون بسيما الطاعة والإيمان، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار، كما وصف المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه، وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك، ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنُّصرة، والإيمان الصادق، ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين، وإيثارهم على أنفسهم، ومُواساتهم لهم، وسلامتهم من الشح، وبذلك حازوا على الفلاح. هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يفضل بها بعضهم بعضًا، رضي الله عنهم، وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة.

أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم هؤلاء الأربعة وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، ويَفْضُل المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، ويَفْضُل من أسلم قبل الفتح وقاتل؛ على من أسلم بعد الفتح.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



سبيل المؤمنين في فقه التعامل مع المخالفين

الحلقة الثانية

إعداد: معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن قواعد فقه التعامل مع المخالفين، وذكرنا أول هذه القواعد وهو الإنصاف ونبذ التعصب، وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنقول وبالله التوفيق:

القاعدة الثانية: الحرص على الاعتصام والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف:

لقد امتن الله تعالى على عباده المؤمنين بنعمة الوحدة والاعتصام بحبله المتين فقال سبحانه: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا » (آل عمران:١٠٣).

وبيّن سبحانه وتعالى أنها من أعظم أسباب النصر، فقال عز من قائل: «وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال:٦٢-٦٣)، فالتأييد حدث بأمر رباني، وأمر معنوي، وهو اجتماع المسلمين وتآلف قلوبهم.

كما حذر ربنا تبارك وتعالى من الفرقة ونتائجها فقال سبحانه: « وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ » (آل عمران: ١٠٥-١٠٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ يرضَى لكم ثلاثًا ويكرهُ لكُم ثلاثًا؛ فيرضَى لكُم أن تعبدوهُ ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبلِ اللهِ جميعا ولا تفرَّقوا. ويكرهُ لكم قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ» (صحيح مسلم:١٧١٥).

إصلاح ذات البين:

إن رابطة الدين تتلاشى أمامها رابطة النسب والعصبية؛ لأن التفرق من خصائص الجاهلية، ولن يؤتى المسلمون من قلة عددهم، ولكن يؤتون من قبل ذنوبهم، ومن أعظمها: التفرق والاختلاف، ولقد كان من أعظمِ الدروس التي استفادها المسلمون يوم بدر وأحد، هو درس الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف؛ ففي غزوة بدر لما اختلف الصحابة في أمر الغنائم أنزل الله عز وجل: «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ » (الأنفال:١)، «أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر بالتواد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع والتخاصم والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين: تحسين الخُلق لهم والعفو عن المسيئين منهم، فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر». اهـ (تفسير السعدي: ٣٤٦).

وفي غزوة أحد، وبعد أن مُنيَ المسلمون بالهزيمة؛ بسبب مخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الصحابة رضي الله عنهم: «أنى هذا»؟ أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهُزمنا؟ أخبرهم ربنا فقال: «قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ » (آل عمران: ١٦٥)، حين تنازعتم وعصيتم من بعد

ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المهلكة.

وفي بني قريظة، لما قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم للصحابة صلى الله عليه وسلم يومَ الأحزاب: (لا يُصلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بَنِي قُرَيظَةَ)؛ فأدرك بعضَهُم العصرُ في الطريق، فقال بعضُهُم: لا نُصلي حتى نَأتيَها، وقال بعضُهُم: بل نُصلي، لم يُرَدْ منَّا ذلك. فذكرَ ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وسلم فلم يُعَنِّفْ واحدًا منهم. (صحيح البخاري ٤١١٩).

فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم وهم في الطريق عندما حان وقت العصر، فمنهم من صلاها لأن الصلاة لميقاتها، ومنهم من أخَّرها حتى صلاها بعد وقتها في بني قريظة؛ أخذا منه بظاهر النص، فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم أحداً من الفريقين، بل استأصل مادة الخلاف والنزاع وصفهم جميعا صفا واحدا كالبنيان المرصوص لقتال العدو.

والجميل ههنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبرهم من الأقرب للصواب ولم يخبرهم بما كان يقصد ليظل الجميع متحابين ما دام الجميع مجتهدين ولم يقصروا.

وهذا يؤصل أصلاً شرعيًّا مهما-كما قرره الفقهاء-، وهو أن الخلاف في الفهم في مسائل الفروع لا ينبغي أن يؤدي إلى التنازع والفرقة؛ لأن كلا الفريقين مجتهد ويترددان بين أجر وأجرين، فكلاهما محسن.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال القضاء أبدا على الخلاف في مسائل الفروع ما دام دليلها ظنيًّا محتملاً؛ إذ لو أمكن ذلك لكان أولى العصور به عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكان أولى الناس بألا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما قد رأيت؟!

أثر الوحدة الظاهرة في تأليف القلوب:

ومما يدل على مراعاة أمر الوحدة الظاهرة وأثرها على الأعمال القلبية الباطنة قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسوي صفوف أصحابه في الصلاة، قائلا: «أقيمُوا صفوفَكم (ثلاثًا) واللهِ لَتُقيمُنَّ صفوفَكم أو لَيُخالفَنَّ اللهُ بين قلوبِكم قال فرأيتُ الرجلَ يلصقُ منكبَه بمنكبِ صاحبِه وركبتَه بركبةِ صاحبِه وكعبَه بكعبِه. (السلسلة الصحيحة ١/٧١).

هذا هو طريق النجاة

في ظل هذا الواقع المؤسف الذي تعيشه الأمة والذي ضربت فيه الفرقة بأطنابها في كل اتجاه، يجب علينا أن نزن تصرفاتنا بميزان الشرع الحكيم، وأن نعيد النظر من جديد في طريقة التعامل وأسس الحوار والتعايش فيما بيننا، فمن استمسك بدين الله أحببناه وواليناه، ومن وقع منه بعض الأخطاء والمخالفات التي لا تخرجه عن دائرة الإسلام، فإن عقد الأخوة لا يزال باقيًا له مع استمرار النصح له دائمًا، وبغض ما يأتيه من مخالفات، فنحبه من وجه، ونبغضه من وجه آخر، وهذا هو المنهج الصحيح لقاعدة الحب والبغض، وأساسها قول الله عز وجل: « وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ » (التوبة:١٠٢).

فمن أخطأ أو زل فلا ينبغي أن نبغضه أو نذمه بإطلاق كما فعلت الخوارج، فكفروا مرتكب الكبائر، وكذلك لا نمدحه بإطلاق، ولا نرفعه لدرجة جبريل وميكائيل، عليهما السلام، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما فعلت المرجئة.

وانما دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

التوحيد أساس الوحدة

نحن حينما ندعو للائتلاف لا نعني الائتلاف مع أصحاب المذاهب الضالة والمنحرفة عن منهج أهل السنة من الخوارج والروافض، والقدرية والمعتزلة، وغيرهم من فرق الضلال المنحرفة عن الصراط المستقيم. بل لا بد من التفرقة في دعوتنا للوحدة والائتلاف، بين هؤلاء المبتدعة من الفرق الضالة وبين المختلفين من أهل السنة المتبعين لمنهج السلف؛ فهؤلاء هم الذين نسعى لتأليف قلوبهم وجمع صفوفهم.

إنصاف أهل السنة ودفاعهم عن علماء الأمة:

أهل السنَّة والجماعة منصفون في الحكم على الآخرين، لا يرفعون الناس فوق ما يستحقون، ولا ينقصون قدرهم، ومن الإنصاف بيان خطأ المخطئ من أهل العلم والفضل، والتأول له، والترحم عليه، كما أن من الإنصاف التحذير من خطئه؛ لئلا يغتر أحد بمكانته فيقلده فيما أخطأ فيه، وأهل السنَّة لا يتوانون عن الحكم على من خالف السُّنَّة عمدا بأنه مبتدع ضال.

وقد نبتت في زماننا نابتة لم تعرف عقولها إلى العلم سبيلاً، ولا إلى الإنصاف طريقًا نالت من الإمامين الجليلين ابن حجر والنووي خاصة، فحكموا عليهما بأنهما من أهل البدع الضالين، وبلغت السفاهة ببعضهم أن قال بوجوب إحراق كتابيهما "فتح الباري" و"شرح مسلم"!.

وهذا من التطاول القبيح على علماء السلف، وليس معنى هذا أنهما لم يخطئا في مسائل وبخاصة في باب صفات الله تعالى، وقد علَّق عليها علماؤنا، وبينوها، وردوا عليهما، مع الترحم عليهما، والثناء بما يستحقانه، والدعاء لهما، والوصية بالاستفادة من كتبهما، وهذا هو الإنصاف الذي عُرف به أهل السنَّة والجماعة، بخلاف من بدَّعهُما، وضَلَّلهُما، وبخلاف من استدل بكلامهما كأنه شرع منزَّل، وجعل ما يعتقدانه هو الحق الذي لا ريب فيه، واليك باقة من كلام علمائنا لنقف على الإنصاف والعلم والحكم بالعدل على هذين الإمامين.

قال علماء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء: " موقفنا من الإمام النووي والحافظ ابن حجر والباقلاني، والبيهقي، وأبي الفرج بن الجوزي وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى، أو فوَّضوا في أصل معناها؛ أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله، سواء تأولوا الصفات الذاتية، وصفات الأفعال، أم بعض ذلك. "فتاوى اللجنة الدائمة" (٢٤١/٣).

كونوا سلفيين على الجادة:

فإن المتأمل في سيرة سلفنا ومن سار على نهجهم من الأئمة وعلماء الأمة يجد أنهم اختلفوا وتعددت اجتهاداتهم في كثير من القضايا العلمية والعملية، ونتج عن ذلك تعدد المدارس الدعوية والمذاهب الفقهية، ووقع بعضهم في أخطاء اجتهادية وتأويلات بعيدة، ولكن الإخلاص في النية لله وحده، والصدق في القول والعمل، والالتزام بالعلم الشرعي والأخلاق النبوية الكريمة جعلهم يحرصون على وحدة الكلمة والمحافظة على الجماعة، والأدب في الحوار، والصبر على المخالف، والدعاء له بالخير مع التزام ما يراه حقًّا وصوابًا، والدعوة إليه، ذلك أنهم كانوا يعون هذه الحقيقة جيدًا.

فقد كان هدفهم الأساس التعاون فيما بينهم والمحافظة على جماعتهم وائتلافهم ووحدة كلمتهم والوقوف صفًّا واحدًا أمام عدوهم المشترك هو حياتهم، وهو أعظم ما ميَّزهم عبر العصور، وهو سرّ نصرهم في كل ميادين الحياة.

فرضي الله عنهم وأرضاهم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه

فاعرفوا لهم فضلهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في: أدلة التشريع المتفق عليها والمختلف فيها

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، ونبيه المجتبى، وبعد:

فإن من أهم الموضوعات التي يعتني بها أهل العلم: أدلة التشريع، ومراد أهل العلم بأدلة التشريع: الأدلة التي نصبها الشارع لإرشاد المكلفين إلى الأحكام الشرعية سواء كانت علمية- وهي العقائد-، أو عملية- وهي الأحكام الفقهية، وقد تسمى أدلة التشريع: مصادر التشريع، أو أصول الأحكام، أو أدلة الفقه...

ومعرفة أدلة الأحكام، وكيفية الاستفادة منها، ومعرفة ما يصلح منها للحجية، وما لا يصلح، والتمييز بينها، هي موضوع علم أصول الفقه، فقد قصر كثير من أهل العلم تعريف هذا العلم عليه، قال الجويني في البرهان (٨/١): «فإن قيل: فما أصول الفقه؟

قلنا: هي أدلته. وأدلة الفقه هي الأدلة السمعية، وأقسامها: نص الكتاب، ونص السنة المتواترة، والإجماع، ومستند جميعها قول الله تعالى.

وهذا المقال فيه إحصاء لطيف لهذه الأدلة، والمراد به شحذ همم طلاب العلم لدراسة هذا الفن، وبيان سعة الأدلة الشرعية وغناها، فأقول وبالله التوفيق:

أدلة التشريع

أجمعت الأمة على أنه لا حاكم إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال تعالى: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) الأنعام: ٥٧. وقال: (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) غافر: ١٢.

إذ قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إخبار عن الله، فلا حاكم على الحقيقة إلا الله، ولا حكم إلا ما حكم به، ولا شرع إلا ما شرعه لنا والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) المائدة: ٤٩.

ويُعرف حكم الله ـ تعالى ـ بإخبار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رَبِّه سواء أكان المخبر به وحيًا متلوًّا وهو القرآن أو غير متلو وهو السنة، ويدل على ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء: ٥٩.

فالرد إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ رد إلى كتابه الكريم ـ القرآن ـ، والرد إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رد إلى سنته المشرفة ـ.

والسنة إنما هي تبيان للكتاب العزيز قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)) النحل: ٤٤.

فالكتاب والسنة هما الأدلة الأصلية، وغيرها من أدلة التشريع، سواء المتفق عليها بين جمهور الأمة: كالإجماع والقياس أو المختلف فيها: كسد الذرائع، والاستحسان، وقول الصاحب، وشرع من قبلنا، والعرف، والاستصحاب، والاستقراء، وغيرها تبعية.

والأدلة التبعية لا تستقل بتشريع الأحكام، بل ترجع إلى أحد الدليلين الأصليين: الكتاب أو السنة، فتستند عليهما في إثبات التشريع.

وهذا إحصاء لطيف لأدلة التشريع المتفق عليها والمختلف فيها من كتابي: مناهج العلماء في الاحتجاج بالوحيين بتصرف يسير. يسر الله طبعه ـ (ص ٩ إلى ٣٧) وقد حذفت الحواشي.

عدَّ القرافي أدلة التشريع استقراء في تنقيح الفصول تسعة عشر دليلاً [شرح تنقيح الفصول (ص ٤٧٢، ٤٧٣) والذخيرة (١٤٩/١)]، وهناك خلاف بين لفظه في شرح التنقيح، وبين لفظه في التنقيح المطبوع في أول الذخيرة وما سقته هو لفظه من الذخيرة قال: ((فأما أدلة مشروعيتها: فتسعة عشر بالاستقراء.)) ثم ذكرها.

وقد تبعه على ذلك نجم الدين الطوفي فعدها تسعة عشر دليلاً حاصرًا أدلة الشرع فيها، وذلك عند شرحه لحديث لا ضرر ولا ضرار [التعيين في شرح الأربعين (ص ٢٣٧:٢٨٠)]، وقد ضمنه بحثًا عن المصلحة، نشره الشيخ جمال الدين القاسمي، وقد كتب عليه حاشية أوضح فيها ما يحتاج إليه القارئ من غموض لفظ، أو إجمال عبارة، وقد شرح فيها ما دق معناه من الأدلة المختلف فيها.

وقد نشرت الرسالة بحواشيها مجلة المنار [(المجلد ٩/بداية من صفحة ٧٤٥ إلى صفحة ٧٧٠) نسخة مصورة، لدار مكتبة ابن تيمية، قال الطوفي (٧٤٦/٩ الطبعة السابقة):

اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابًا بالاستقراء لا يوجد بين العلماء غيرها:

١: الكتاب ٢: السنة. ٣: إجماع الأمة.

٤: إجماع أهل المدينة. ٥: القياس.

٦: قول الصحابي. ٧: المصلحة المرسلة.

٨: الاستصحاب. ٨: البراءة الأصلية.

١٠: العادات. ١١: الاستقراء.

١٢: سد الذرائع. ١٣: الاستدلال.

١٤: الاستحسان. ١٥: الأخذ بالأخف.

١٦: العصمة. ١٧: إجماع أهل الكوفة.

١٨: إجماع العترة عند الشيعة.

١٩: إجماع الخلفاء الأربعة.

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذكور في أصول الفقه)).

ولم يرتض القاسمي في حاشيته حصره للأدلة في هذا العدد فقد قال الطوفي: ((لا يوجد بين العلماء غيرها)) وهذا ما لم يقله القرافي. وقد أخذ الطوفي هذا الحصر منه، ونقل الأدلة بحروفها إلا في تعبير القرافي عن الدليل العاشر: بالعوائد، فقال الطوفي: العادات. وعد ستة وعشرين دليلاً غير ما ذكره القرافي والطوفي فبلغت جملة الأدلة خمسة وأربعين دليلاً لم يدع حصر الأدلة فيها.

قال القاسمي في الحاشية (ص ٧٤٦ الطبعة السابقة): ((هذه الجملة زادها على القرافي وليته لم يزدها؛ لأنه يوجد لديهم غيرها كما يظهر لمن سبر كتب الأصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة وعشرين، وهي:

شرع من قبلنا إذا لم يُنسخ.

والتحري. والعرف.

والتعامل. والعمل بالظاهر أو الأظهر.

والأخذ بالاحتياط. والقرعة.

ومذهب كبار التابعين.

والعمل بالأصل. ومعقول النص.

وشهادة القلب. وتحكيم الحال.

وعموم البلوى. والعمل بالشبيهين.

ودلالة الاقتران. ودلالة الإلهام.

ورؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والأخذ بأيسر ما قيل. والأخذ بأكثر ما قيل.

وفقد الدليل بعد الفحص.

وإجماع الصحابة وحدهم.

وإجماع الشيخين.

وقول الخلفاء الأربعة إذا اتفقوا.

وقول الصحابي إذا خالف القياس.

والرجوع إلى المنفعة والمضرة ذهابًا إلى أن الأصل في المنافع: الإذن، وفي المضار: المنع.

والقول بالنصوص والإجماع في العبادات والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الأحكام، وهو للطوفي المصنف؛ فالجملة خمسة وأربعون دليلاً وسنذكر ما دقّ معناه منها، فانتظر)).

وقد ذكرها الدكتور أنور شعيب في كتابه: شرع من قبلنا، ط: مجلس النشر العلمي، ط: الأولى، من (ص ٢٠ إلى ص ٢٣)، وجعل الدليل الأخير دليلين. وهو لم يصرح بالنقل، لكونه تصرف في النقل بعض تصرف، لكني توقعت استفادته منهما لما وجدت تطابقًا بينهم غالبًا. ثم زاد عليهما:

١. القياس الاقتراني. ٢. القياس الاستثنائي.

٤. الاستدلال على فساد الشيء، بعدم الدليل على صحته.

٥. الاسْتِدْلَال على فَسَاد الشَّيْءِ بِفَسَادِ نَظِيرِهِ.

٦. الاسْتِدْلَال على عدم الحكم بعدم الدليل.

٧. التعلق بالأولى. ٨. الهاتف الذي يعلم أنه حق.

ولم يذكر من الأدلة التي ذكراها أربعة من الأدلة:

١. الاستدلال. ٢. العمل بالأصل.

٣. الأخذ بأكثر ما قيل. ٤. إجماع الصحابة وحدهم.

وقد زدت عليهم عشرة من الأدلة وهي:

١. القراءة الشاذة. ٢. إجماع العشرة.

٣. فقد الشرط. ٤. وجود المانع.

٥. الأخذ بأخف الضررين. ٦. القياس التمثيلي.

٧. وجود المقتضي، وانتفاء مُدرك الحكم.

٨. الخروج من الخلاف.

٩. إطباق الناس من غير نكير. ١٠. دلالة السياق.

وقد ذكر الزركشي من الأدلة المختلف فيها في البحر المحيط (٤/٣٢٠ إلى ٤٠٥) واحدًا وعشرين دليلاً.

فتكون الأدلة المختلف فيها بين أهل العلم على هذا الإحصاء ثمانية وخمسين دليلاً.

وبعض هذه الأدلة قد يدرج تحت بعض، وبعضها مكرر، وبعضها لا يحتج به على الصحيح، على أني لم أرد بذلك الحصر، ولم أقصد إليه بل أردت بيان أن الحصر الذي يذكر في بعض المصنفات مبني على استقراء ناقص. والله أعلم.

ظهور الفاحشة.. الأسباب والعلاج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، وبعدُ:

فإن من حكمة الله تعالى في خلقه أن جعل الناس فريقين؛ فريق يتبع الحق، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، قائم على الفضيلة، حارس لآداب الشريعة.

وفريق آخر يتبع الهوى، ويضل عن سبيل الله، قائم على الغواية، داعٍ لكل رذيلة.

وهذا هو الظاهر والواضح على مروجي الفتن، وناشري الفواحش في مجتمعنا، بهذا التبجح، وهذه الجرأة، حتى كانوا سببًا في نكسة الأمة وتأخرها، فحسبنا الله ونعم الوكيل، وإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إعداد: أحمد صلاح

ففي هذا الزمان العجيب تتوالى علينا الفتن من كل مكان، عمياء خاطفة، ليس لها من دون الله كاشفة، فقد روى أحمد والحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليغشينَّ أمتي من بعدي فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع أقوامٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر».

وإن من أخطر الفتن التي أطلت برأسها على أمتنا ظهور الفاحشة وشيوعها في الناس بهذا الشكل الكبير والمخيف.

وهذا نذير شؤم على الناس جميعًا، لأن العذاب معلق بظهور الفواحش، كما في صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين زينب رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

وما أورده ابن ماجه في سننه في كتاب العقوبات من حديث ابن عمر قال: اقبل علينا النبي فقال:" يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا، بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وروى أحمد في «المسند» عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمَّهم الله بعذاب من عنده، فقلت: يا رسول الله، أليس فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى. قلت: فكيف يُصنع بأولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان».

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إن الله تعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمل المنكر جهارًا استحقوا كلهم العقوبة». (الزهد لابن المبارك).

ولذا يقول تعالى: « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا

يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » (المائدة: ٧٨- ٧٩).

فطبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يُصبحا عُرفًا بين الناس، والقائمون بأمر الله ودينه عليهم أن يؤدوا الأمانة ولا يخافوا لومة لائم.

فجاء صوت النذير لأهل الدين، وحملة العلم بقوله تعالى: « لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (المائدة:٦٣). قال ابن جرير رحمه الله: «ما في القرآن آيةٌ أشدُّ توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوفُ عليهم منها». ونقل عن الضحاك رحمه الله مثل هذا، أخرجه الطبري في تفسيره بسند صحيح.

ومما ينذر بخطر السكوت عن الباطل: ما رواه الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه، فلا يُستجاب لكم».

وأصبح أهل الحق في وسط هذا الغثاء غرباء منبوذين، وروى الترمذي في (الفتن) عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه، كالقابض على الجمر.

قال المناوي في فيض القدير: شبه المعقول بالمحسوس، أي الصابر على أحكام الكتاب والسنة، يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال، مثل ما يقاسيه من يأخذ النار بيده، ويقبض عليها، بل ربما كان أشد، وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، فإنه إخبار عن غيب، وقد وقع.

معاول الهدم:

لقد كان أعداؤنا خبثاء ماكرين في حربهم للمسلمين، إذ تفرَّسوا في أسباب قوة المسلمين وحددوها بالضبط، ثم اجتهدوا في توهينها وتحطيمها بكل ما أوتوا من مكر ودهاء، والمسلمون في نوم عميق!!

علموا أن المرأة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي، وهي سلاح ذو حدين، وأنها تملك المواهب الضخمة الجديرة بأن تبني أمة، أو أن تهدم أمة، فكان لها النصيب الأوفر من حجم المؤامرات، وعُقدت لها المؤتمرات.

لقد كان للمرأة المسلمة في عصور العز والكرامة الدور الرائع في بناء صرح الأمة، ثم لم تلبث أن تدهورت شيئًا فشيئًا، وجُرحت الأمة جرحًا عميقًا بسلاح المرأة.

وفي عصرنا الحاضر عبرٌ ومَثُلات تزيد المؤمن يقينًا بشؤم هاتيك المعاصي والشهوات التي غرق فيها الغرب، ويريد أن يُغرق فيها المسلمين، وصدق النبي الأمين صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء». (رواه البخاري).

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» عن التابعي الجليل جُبير بن نفير رحمه الله قال: لما فتحت قبرص فُرِّقَ بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء جالسًا يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله عز وجل، فصاروا إلى ما ترى.

لقد عمل أعداؤنا على نشر الفواحش بيننا لإسقاط الأمة، فشلوا حركة المرأة المسلمة عن دورها البناء، ثم الزج بها إلى مواقع الفتنة، وتدمير الأخلاق، تحت ستار المصطلحات البراقة كالتقدم والتحرير والتجديد.

ساعدهم على ذلك حملة المباخر، المتسولون على كل الموائد، أكلة الفتات والروث، من بني جلدتنا، من قادة الفكر والأدب والفن والإعلام، أبالسة عصرنا، هُدَّام الأمة من الداخل، أولئك هم شر البرية.

ولذلك يتحتم علينا النظر في أسباب ظهور الفواحش، وبيان صورها لنصل إلى العلاج والدواء، وهذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله تعالى في العدد القادم، والله المستعان.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م



١- الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلقًا.

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.



التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
ثمن الكرتونة
١٠٥٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. يحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار: يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517